# الإســـــلام
# وتحريــر العقـــل الإنساني

الدكتور
سيد فرج عبد الحليم
أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد
بكلية أصول الدين بالقاهرة
جامعة الأزهر الشريف

## بسم الله الرحمن الرحيم

## تمهيد:

الحمد الله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلوات الله عليه وسلامه وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر الميامين، الذين اتبعوه واهتدوا بهديه، فكانوا الهداة للبشرية والمصابيح المضيئة لها في مسارب الحياة وظلماتها.... أما بعد

فهذا بحث فى موضوع شغلت به منذ مدة طويلة وعشت فيها بفكرى فيه حتى الآن، وقد بدا لى أن أساس الأسس وركيزة المرتكزات في نهضة هذه الأمة إنما يكون بتحرير العقل الإنساني من الجمود والأغلال، والقيود والأوهام، والأساطير والخرافات التي جعلت منه جسداً بلا روح، ذلك أن الله لا يهب الحكمة إلا لمن تلمس طريقها، وسلك سبيلها، ألا وإن سبيلها الأخذ بأسباب العلم النافع، والتفكير الصحيح في شئون الكون، والتأمل في هدي الله ورسوله، فمن أخذ بهذه الأسباب أوتي الحكمة في القول والعمل، فالحكمة هدف عظيم، وغرض أسمي، ومنزلة رفيعة، ومقام محمود، من وصل إليها فقد أوتي خيرا كثيرا، أوتي سعادة الدنيا والآخرة، وهذه المنزلة لا يدركها إلا أولو الألباب، الذين جعلوا العقل هاديا لهم، وتذكروا آيات الله، وتدبروا ما فيها من دلائل واعتبار.

وربما قيل: ما الفائدة من الكتابة في هذا الموضوع ؟ وهذا الكلام لا يفيدنا بشيء ونحن في ظروف التخلف والضعف والهوان، إلا أن نستعيد الثقة بأنفسنا ونعيد إحياء عقولنا للنهضة والانطلاق الحضاري، إيماننا منا بأن الأمة لا تقوم لها قائمة ولا تسمو لبناء حضارة راقية إلا إذا كانت قادرة علي إعداد الإنسان الصالح القادر علي عمارة الأرض إعدادا سليما، وترقيته لمرتبة الكمال التي هيأه الله لها، وذلك ببناء صرح الأفراد بناء سليما قائماً علي أسس وطيدة، وأهداف عظيمة، ووسائل نبيلة تتفق مع فطرة الإنسان، إعدادا يقوم علي احترام العقل الإنساني، الركيزة الأساسية التي جاء بها الإسلام، لبناء الفرد والمجتمع، وهذا لا يتحقق إلا من خلال تربية عقلية راقية هادفة تتسم بالإحاطة، والاستيعاب، والشمول، بكل ما تضمنته كلمة الشمول من معان، وهذا منهج ليس له وجود إلا في الإسلام دين الله الخاتم.

وما نراه اليوم من ضعفٍ وهوان في عالمنا الإسلامي، وتفرق وضياع جاء نتيجة لعدم استجابة المسلمين لأوامر الباري عز وجل في إعمال عقولهم فى

التفكير، والفهم، والدراسة فى تأمل هذه الآيات، وتدبر هذه البينات التي بثها الباري تعالى فى هذه المخلوقات، ولعله ليس من العسير علي الباحث المتأمل في أحوال المسلمين أن يلمس عن بينة أن أهم أسباب تخلف المسلمين عن ركب الحضارة يكمن في نضوب الفكر، ووقوف العقل عند ترديد ما قاله الأولون عن الكون والطبيعة وقوانينهما، وتتبع عورات الحضارة الغربية، والتركيز علي السلبيات في حياتنا، ومواضع الاختلاف فى آرائنا، ومواطن الضعف في نفوسنا، الأمر الذي ترتب عليه أن أصبح كثير من المسلمين يعيش بفهم بعيد عن رسالة الإسلام، لقد كان أفضل من هذا كله لو أن العقل الإسلامي أستبدل تتبع العورات، والتشهير ومواضع الاختلاف... بالنقد الذاتي، والمعالجة العلمية، وإعمال العقل في وظائفه التي حددها له الله تعالي .

فلا ريب أن إهمال العقل وتعطيله عن أداء وظيفته يهبط بالإنسان ويجعله عاجزاً عن تحقيق تقدم ما. وهذا هو الذي حال بين المسلمين في عالمنا المعاصر وبين النفاذ إلي الحقائق فى الأنفس وفى الآفاق، ذلك أن الجهل بقوانين الفكر هو أساس قضية التخلف العلمي والحضاري، بل من أعظم أسباب تخلف المسلمين في العصر الأخير، الأمر الذي أفقدهم كل ثقة بأنفسهم، لا نقول هذا مبالغة ولكن الحقائق تنطق بأن القصور العقلي والهزيمة النفسية هو الذى أوصلنا إلي ما وصلنا إليه. ذلك أن تحرير العقل وتنميته من أكبر القضايا التي تواجه المسلمين بل من أكبر التحديات التي تواجه المجتمع الإسلامي المعاصر، لأنها هي السبب الرئيس فيما وصلنا إليه من التأخر والتخلف عن ركب الحضارة، ذلك أن إعمال العقل هو أساس كل تقدم وحضارة، ومصدر كل قوة ورفعة واعتزاز ورفاهية.

وربما قيل إن هذا مبالغة في مكانة العقل و دوره، نقول إن ذالكم هي المنزلة التي أنزله الله تعالي إياها، وآيات القرآن العظيم خير شاهد ودليل.

لقد أنعم الله تعالى على الإنسان فأمده بالعقل، أداة فهم وآلة معرفة، لأن جوهر الإنسان هو العقل الواعي المدبر للحياة الإنسانية، الذي يميز به بين الحق والباطل، والخير والشر والصلاح والفساد، فبالعقل استخدمت أسرار الطبيعة فاكتشفت واستنتجت وسخرها الباحثون والعلماء:حتى استطاعوا اكتشاف قوانين الله سبحانه وتعالى فى هذا



الكون فاستخدموها.، لتحقيق رفاهية الإنسان.

وعرف العلماء العقلاء دقائق الصنع الإلهي ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِيَ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ [1] فتقدمت المعارف، وارتقت الصناعات، فلا سبيل لمعرفة عالم الطبيعة والماديات إلا باستخدام العقل، فكل ذرة في هذا الوجود تأخذ بيد العقل إلي العلم والمعرفة. فبالعقل السليم، والفكر المستنير، تشيد الحضارة ، وتتحقق العدالة ، وينتشر العلم، ويندثر الجهل والفقر.

ومن هنا كان أصحاب العقول المستنيرة هم الذين يصنعون الحياة، والحضارة، والتقدم، ويكشفون عن أسرار هذا الكون، فلا إبداع ولا تجديد إلا بإعمال العقل، كما أن أصحاب العقول لا يعلقون مشكلاتهم علي الآخرين، ولا تضيق صدورهم بأي حوار أو مناقشة أو خلاف فى الرأي."

بل لقد كان لاهتمام الإسلام بالتفكير واحترامه للعقل والإشادة به، وتوجيه القرآن العقول إلي الانتفاع علماً وعملاً بما أبدعه الله في الكائنات، والدعوة إلي النظر والتأمل والتفكر أثر كبير في دفع المسلمين إلي التعرف علي سنن الباري تعالي فى الكون ومعرفة مجاهله، كما يتعرفون على حقائقه، ويقدمون حصيلة فكرهم وتجربتهم.، لتحقيق تقدم الإنسانية والوصول إلى حياة أفضل، ذلك أن من أهم وسائل العمران العناية بالتفكير، التي رغب الإسلام فيه، وحث الرسول عليه .

إن الأمر الذي ليس فيه شك أن الحضارة الإنسانية التي أسسها المسلمون الأوائل ما كانت لتكون إلا من خلال عدة ركائز، من أهمها احترام العقل الإنساني وإعماله، واستجابة المسلمين لما جاءت به آيات القرآن المجيد التي تدعو إلى التدبر، والتفكير، وإعمال العقل، وتحرير الفكر، وتربية الذهن علي التأمل، والاستنتاج، والاستقراء، في ظل توجيهات كتاب الله العزيز وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم.

ذلك أن الإسلام دين عملي، ومنهج واقعي، لم تكن أفكاره وتعاليمه مجرد كلمات، وإنما هى حقائق أحدثت فى البشرية كلها نهضة تجديد شاملة وواقعا ملموساً، فيه تحقق للإنسانية الرقي والتمدين، وكل خير وسعادة وإرتقاء،

---

[1] ) سورة النمل آية ٨٨ .

وهذه حقيقة اعترف بها أكابر العلماء الغربيين يقول:" الكونت دوزى"العالم وأحد وزراء فرنسا السابقين" بينما نحن – أهل أوربا – تائهون في بيداء الجهالة، لا نرى الضوء إلا من سم الخياط، إذ سطع نور قوى مما جاءت به الأمة الإسلامية، تراث فيه علوم، وآداب، وفلسفة، وصناعات وأعمال يدوية، وذلك وقت ما كانت مدينة بغداد، والبصرة وسمرقند، ودمشق، والقيروان، ومصر، وتونس، وغرناطة، وقرطبة، مراكز عظيمة لدائرة المعارف العامة، ومنها ينتشر النور فيما حولها. وما بعد عنها من أمم، وكان يغترف منه أهل أوربا في القرون الوسطي مكتشفات، وصناعات، وفنونًا عدة مما أقاموا عليه أساس حضارتنا الحاضرة، التي أصلها أقباس من شرائع الإسلام، وحضارة المسلمين [1].

وبناء علي ذلك نقول: حتى يكون هناك إنصاف ومصداقية في تناول هذا البحث"دور الإسلام في تحرير الفكر الإنساني من التقليد والجمود" فلا بد من الفصل بين ما عليه المسلمون من ضعف وهوان، وفرقة واختلاف، وخاصة فى هذا العصر الذي نعايشه، وبين ما كان عليه المسلمون الأوائل من رفعة، وارتقاء، ومكانه عظمى، حتى هابهم أعداؤهم وسادوا الدنيا فى مدة زمنية وجيزة أشبه ما تكون بالأحلام، وكانت لهم الكلمة المسموعة واليد الطولي فى شتَى مناحي الحياة، علمياً، وسياسياً، واقتصادياً، واجتماعياً، وأخلاقياً، ودينياً، فأصبحوا منارة الحياة الدنيا وفخرها بما قاموا به مما أوجبه الله عليهم علماً وعملاً، عقيدة، وشريعة، وأخلاقاً، وسلوكاً، عن فكر وروية، وعدم قبول شيء بغير حجة وبرهان وعلم .

ونظراً للمكانة التي يتبوأها العقل فى الإسلام، والدور الريادي فى تقدم الإنسانية كان هذا البحث المتواضع، حول دور الإسلام في تحرير الفكر الإنساني وما له من أثر فى بناء الحضارة الإنسانية الراقية.

وفي هذا البحث سنحاول-مستعيناً بالله تعالى- أن نوجز أهم القضايا عن موضوع هذا البحث وقد اشتمل على تمهيد وثلاثة مباحث، تناول التمهيد أهمية التفكير وإعمال العقل فى الإسلام،وقد بين المبحث الأول:تعريف العقل ومكانة في القرآن الكريم، ووظائفه في الإسلام ومنهج الإسلام في تنمية العقل الإنساني.

[1] )أنظر الإسلام والحضارة العالمية / للأستاذ محمود أبوالفيض الموفي /٩ ط مجمع البحوث الإسلامية



وأما المبحث الثاني:فقد تناول الحديث عن التفكير فى الإسلام وأهميته .

وأما المبحث الأخير فكان للحديث عن وسائل الإسلام لتحرير العقل الإنساني، وما أفضت إليه تلك الأسس والوسائل، وأثر هذا المنهج وثمرة فى تقدم العالم الإسلامي على وجه الخصوص، وعلى الحضارة الإنسانية على وجه العموم .

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت

واليه أنيب

د/ سيد فرج عبد الحليم

البحرين{الجمعة٥ربيع الأخر١٤٢٦هـ

{١٣ /٥ /٢٠٠٥م

## المبحث الأول

## تعريف العقل لغة واصطلاحا

لعل من الضروري قبل أن نعرض لهذا الموضوع أن نلم إلمامة سريعة بأصل كلمة العقل فى اللغة وما تعنيه فى المفهوم الاصطلاحي وبعض خصائص العقل، حتى نكون على بينة منها، ذلك أن الحكم على الشيء فرع من تصوره، وفيما يأتى بيان ذلك

### أولا: تعريف العقل في اللغة

تطلق كلمة العقل في اللغة:ويراد بها منع الإنسان من الوقوع في المهالك، كما يراد بها أيضا الحصر والحبس.

قال ابن منظور: "العقل الحجر والنهي:ضد الحمق، والجمع عقول. عقل يعقل عقلا ومعقولا، وهو مصدر، قال: سيبويه وهو صفة وكأنه يقول إن المصدر لا يأتي على وزن مفعول البتة، ويتأول المعقول فيقول، كأنه عقل له شيء أي حبس عليه عقله وأيد وشد.ورجل عاقل وهو الجامع لأمره ورأيه مأخوذ من عقلت البعير إذا أجمعت قوائمه. وقيل:العاقل هو الذي يحبس نفسه ويردها عن هواها أخذا من قولهم قد اعقل لسانه إذا حبس ومنع الكلام، والمعقول ما تعقله بقلبك، والعقل: التثبت في الأمور، والعقل القلب، والقلب العقل، وسمي العقل عقلا لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك أي يحبسه"[1]

[1] ) انظر لسان العرب لإبن منظور مادة عقل

## ثانيا: تعريف العقل في الاصطلاح:

أما تعريف العقل فى الإصلاح فقد ذكر العلماء والمفكرون للعقل تعريفات كثيرة ومتعددة منها:ـ

ما قاله الجرجاني: "العقل نور في القلب يعرف الحق من الباطل"وقال أيضا:" العقل ما يعقل به حقائق الأشياء، قيل: محله الرأس ،وقيل محله القلب"[١]

وعرف الإمام الغزالي العقل بأنه:"هو الوصف الذى يفارق الإنسان به سائر البهائم وهو الذي استعد به لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية، وهو الذى أراده الحارث بن أسد المحاسبي حيث قال فى حدِّ العقل: إنه غريزة يتهيأ بها إدراك العلوم النظرية، وكأنه نور يقذف فى القلب به يستعد لإدراك الأشياء""[٢]

وذكر الإمام المحاسبي في معنى العقل وفضله:"إنه غريزة وضعها الله سبحانه فى أكثر خلقه، لم يطلع عليها العباد بعضهم من بعض، ولا اطلعوا عليها من أنفسهم برؤية ولا بحس، ولا ذوق ولا طعم، وإنما عرفهم الله إياها- يعنى غريزة العقل"[٣]

وعرف العقاد العقل فى مدلول لفظه العام بأنه قُوَّة من قوى النفس الإنسانية يناط بها الوازع الأخلاقي أو المنع عن المحظور والمنكر، ومن هنا كان اشتقاقه من مادة"عقل" التى يؤخذ منها العقال، وتكاد شهرة العقل بهذه التسمية أن تتوارد فى اللغات الإنسانية الكبرى التى يتعلم بها مئات الملايين من البشر "[٤]

هذه بعض التعريفات التى ذكرها العلماء للعقل يتبين منها أن للعقل معاني عدة تدور حول القدرة علي التمييز بين الخير والشر، والضار والنافع، وأنه من أجل نعم الخالق سبحانه وتعالى، به ميز الإنسان واختصه به علي سائر المخلوقات ليعين الإنسان علي إدراك ذاته، وإدراك ما حوله، وهو كما يقول: الغزالي" قبس من نور الله" به يستطع الإنسان أن يعرف الحق من الباطل، وبه يعرف الإنسان ربه فيقدره حق قدره فيزاد له خشية، وهو أداة الإنسان ليعقل عن الله دينه الذى أراده لنفسه، وشرعه الذى رضيه لعباده،

---

[١] ) التعريفات للجرجاني مادة عقل ١٢٥ ط دار الكتاب العربي بيروت لبنان ١٤٢٣ ٢٠٠٢ م

[٢] ) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ١/ ٨٤ ط

[٣] ) ماهية العقل ومعناه للمحاسبى /٢٠١ تقديم حسين القوتلى ط دار الفكر بيروت

٦التفكير فريضة إسلامية /أ عباس العقاد ٤/٠ بتصرف ط دار نهضة مصر



وبه يتميز المرء عن أقرانه، ويسمو على إخوانه، وبه تحيا النفوس، وتمضى الأمور، وتعمر الدنيا، وبه تعرف حقائق الأشياء، وبه يبنى الإنسان أعظم الحضارات ليعمر الأرض، وهو آلة الإنسان لتحقيق الاستخلاف فى الأرض وكشف بعض أسرارها والاستفادة بما أودعه الله فيها من خيرات وبه يستطع الإنسان" إدراك المعارف اللامادية والتي تتمثل في .

١ـ ما هيا ت الماديات

٢ـ المعاني العامة مثل: الوجود، والجواهر، العرض، العلة، والمعلولية والغاية والوسيلة، والحق والباطل .

٣ـ العلاقات والنسب .

٤ المبادئ العامة للعلم .

٥ـ وجود موجودات غير ماديه"[١]

## ثالثاً: الألفاظ المرادفة للفظ العقل:

هناك عدة كلمات وردت في القرآن الكريم مرادفة للعقل منها:

### ١- أولي الألباب:

قال تعالي:﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾[٢]والألباب في اللغة جمع لُب، واللب بالضم: هو خالص كل شيء، ومن النخل والجوز ونحوها: قلبها، والعقل جمعه ألباب وألُبَ وألُبٍ... ورجل لب ولبيب؛ لازم للأمر، وملبوب: موصوف بالعقل، واللب هو خلاصة العاقل وصفوته، ونقاؤه من شوائب الشك، والتفكير العقيم"

يقول الحكيم الترمذي:"وأما عند عامة أهل الأدب ومن لهم معرفة بشيء من اللغة فإن اللب هو العقل، ولكن بينهما فرق كما بين نور الشمس ونور السراج، فكلاهما نور...والعقل يعبر به عن العلم على وجه المجاز في سعة اللغة، ولكن"أولو الألباب"هم العلماء بالله"[٣]

### ٢- أولي النُّهي

يقول الله تعالى " إن في ذلك لآيات لأولي النهى" طه من الآية:٥٤" والنهي هى العقول لأنها تنهي صاحبها عن الأفعال القبيحة والنهية بالضم واحدة النهى، واللب والنهى صفتان خاصتان بالإنسان، وأما أصحاب العقول فهم فى الدرجة العامة التي يشترك فيها الإنسان والحيوان وسائر الكائنات الحية التي لها

---

[١] ) العقل والوجود د /يوسف كرم /٨ ط دار المعارف ١٩٦٤

[٢] ) [سورة: آل عمران – الأية: ١٩٠]

[٣] ) انظر / بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤد للحكيم الترمذي ٧٣ تحقيق نقولا مطبعة الحلبي ١٩٥٨ م القاهرة

عقول تحكم غرائزها وتوجهها إلى مافيه المحافظة على حياتها."[١]"

الحِجر:

ومعنى الحجرُ في اللغة: العقل قال تعالى:﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾[٢]

يقول علماء اللغة: إن الحجر بالكسر- العقل-: وما حواه الحطيم المدار بالكعبة شرفها الله تعالى من جانب الشمال، والحجر مثلثةَ:المنع كالحجران بالضم الكسر[٣]

## الحِلمُ:

الحلم بالكسر: الأناة وضبط النفس والعقل، وجمعه أحلام وحلوم، وفي التنزيل العزيز ( أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون)[٤]وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال للأشجَ أشج عبد القيس:" إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة[٥]

وقال الإمام النووي:"الحلم: العقل: والأناة: التثبت وترك العجلة" والحلم نقيض السفه، والعقل والإنارة والتثبت في الأمور وضبط النفس والطبع[٦]

هذه هى بعض الألفاظ التي وردت بمعني العقل كما جاءت فى معاجم اللغة، إلا أن"القرآن قد أضفي على هذه الألفاظ ثوباً جديداً، وأعطاها أبعاداً جديدة، لأن المجال الفكري كان قد تغير كاملا، لذلك نري أن المعاني تتطور تاريخياً فتنتقل من البساطة اللغوية إلي المنهج القائم على القواعد الفلسفية والمنطقية. كما نري أن هذه المعاني تفيد أن العقل هو جمع الأمر والرأي، ونري الترمذي يوافق صاحب اللسان فى أنه قد سمي العقل عقلا لأنه يعقل صاحبه عن متابعة الهوى، ولكن صاحب "اللسان" لا يلبث أن يظهر متأثراً بالأفكار الفلسفية عندما يقول:إن العقل هو التمييز الذي يتميز به الإنسان عن الحيوان[٧].

كما تأثر بالنزعة الفلسفية أيضا صاحب القاموس إذ يقول:" إن العقل هو العلم بصفات الأشياء من حسنها وقبحها

[١] ) انظر / مختار الصحاح مادة (عقل)، والمعجم الوسيط /٦٣٩/٢ مجمع اللغة العربية، والقرآن يقوم العقل والنفس واللسان / ٧٩

[٢] ) سورة الفجر آية ٥ .

[٣] ) المصدر السابق/ مادة فمي ٩٩٨

[٤] ) المعجم الوسيط ٢٠١/١ مادة "حلم"

[٥] ) رواه مسلم في صحيحة: ١٩٨/١ شرح النووي

[٦] ) انظر لسان العرب / مادة (عقل)، رسالة في الحلم / شارل بلا: ١٤ :١٥ نقلا عن مفهوم العقل والقلب / د/ محمد علي الجوزو/٣٨

[٧] ) انظر مفهوم العقل والقلب في القرآن والسنة / ٤٢ د/ محمد على الجوزو ط دار العلم للملايين بيروت لبنان ط أولى ١٩٨٠م



وكمالها ونقصانها أو بخير الخيرين وشر الشرين أو مطلق الأمور أو لقوة بها يكون التميز بين القبح والحسن والمعانى مجتمعة فى الذهن يكون بمقدمات يستتب بها الأغراض والمصالح ولهيئة محمودة للإنسان فى حركاته وكلامه." وهكذا تداخلت الروح الإسلامية مع الأسلوب الفلسفي فى هذه التعريفات لتؤكد مدي التفاعل مع التطور الثقافي فى تلك العصور"[١]

## رابعاً: خصائص العقل

**يمتاز العقل الإنساني بعدة خصائص من أهمها:**

(١) أنه ملكة الإدراك التي يناط بها الفهم والتصور، وهو على كونها لازمة لإدراك الوازع الأخلاقي وإدراك أسبابه وعواقبه ؟ يستقل أحيانا بإدراك الأمور فيما ليس له علاقة بالأوامر والنواهي أو بالحسنات والسيئات.

(٢ ) أنه يتأمل فيما يدركه ويقلبه على وجوهه ويستخرج منه بواطنه وأسراراً ويبني عليها نتائجه وأحكامه .

وهذه الخصائص في جملتها تجمعها ملكة (الحكم) وتتصل بها ملكة(الحكمة) وتتصل كذالك بالعقل الوازع إذا انتهت حكمة الحكيم به إلى العلم بما يحسن وما يقبح وما ينبغي له أن يطلبه وما ينبغي له أن يأباه.

(٣) ومن أعلى خصائص العقل الإنساني (الرشد) وهو مقابل لتمام التكوين فى العاقل الرشيد، ووظيفة الرشد فوق وظيفة العقل الوازع، والعقل المدرك والعقل الحكم، لأنها استيفاء لجميع هذه الوظائف وعليها مزيد من النضج والتمام والتميز بميزة الرشاد حيث لا نقص ولا اختلال، وقد يؤتى الحكم من نقص فى الإدراك، وقد يؤتي العقل الوازع من نقص في الحكمة، ولكن العقل الرشيد ينجو به من هذا وذاك"[٢]"

## خامساً: مكانة العقل في القرآن الكريم

أما مكانة العقل فى القرآن الكريم فقد رفعه الله تعالى مكاناً عليا في كثير من آياته، وبوئه منزلةً رفيعة لا نظير لها، إذ به يفكر الإنسان ويتدبر ويرتقي فى مدا رج العلم والمعرفة والسمو والرفعة.

بل لقد تظاهرت آيات القرآن الكريم التى تحث العقل على التدبر والتفكر والنظر والتأمل واستعمال العقل، و تطلب منا أن نفكر، ونعقل الأمور بحكمة وحزم، وتحث المسلم على النظر

[١] ) انظر المرج السابق / ٤٢/ ٤٣ بتصرف

[٢] ) التفكير فريضة إسلامية للعقاد. ٤، ٥

والتفكر والتدبر والفهم، " وما ذلك إلا لأن الإسلام دين الله –عز وجل– يرفع من قدر الإنسان ومكانته، ويدعوه لأعمال العقل بكل ما احتواه من الوظائف.

فمنه خطاب القران الكريم إلى العقل عامة، وينطوي على العقل المدرك، يقول الله– عز وجل: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [1]

وقوله سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلاَفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾ [2] وقوله تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاء وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ {٢٥} وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ {٢٦} وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ {٢٧}﴾ [3] ومن الآيات القرآنية التى تبين إشادة القرآن بالعقل والثقة به قوله تعالى { وآتيناه حكما وعلما } [4]

من هذه الآيات يتبين لنا أن القرآن الكريم قد ربط فعل العقل بظواهر الطبيعة المختلفة وحركتها الدائبة التى تقوم عليها حركة الحياة مما يثير النفس، ويدفعها إلى التأمل، والتصور، والتخيل، وهذه الحركة تبدو فى ثنائية الطبيعة، فى هذه الحركة، ويدعوه إلي تتبعها، وفهم ما تنطوي عليه من أسرار الخلق في الليل والنهار، فى الشروق والغروب، فى الحياة والموت، فالقرآن يشد الإنسان إلي هذه الحركة، وما فيها من الإبداع"[5]

## العقل الوازع:

ومنه ما يخاطب العقل وينطوي على العقل الوازع، الذي يخاطبه رب العالمين فى كتابه ليستجيش فيه الاستجابة والتسليم كما من قوله عز وجل:﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ

---

١ ) سورة: البقرة – الأية: ١٦٤ .

٢ ) سورة: المؤمنون – الأية: ٨٠ .

٣ ) الروم ٢٥/٢٧" .

٤ ) يوسف ٢٢" .

٥ ) مفهوم العقل والقلب في القرآن والسنة /د/ محمد علي الجوزو /٥٧ ط دار العلم للملايين ط أولى ١٩٨٠



وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [1]

وقوله تعالى:(وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم والدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون)"يوسف /١٠٩" إلى جانب هذه الآيات وغيرها هناك الآيات الكثيرة التي تبتدئ بالزجر وتنتهي بالتذكير بالعقل لأنه خير مرجح للهداية في ضمير الإنسان مثل قوله عز وجل: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾ [2] ، وغير ذلك كثير في كتاب الله تعالى" [3]"

إن الفظ العقل بصيغة المصدر لم يرد فى القرآن الكريم وإنما جاءت مادته في صيغ أخرى وكلها تفيد القدرة على التفكير والاستدلال وإدراك الجزئيات والكليات، وهو أبرز ما تميز به الإنسان عن سائر الكائنات الحية، ولو ذهبنا نحصى الآيات التي وردت فيها كلمات (تعقلون–يعقلون) لوجدنا نحو(٤٩) آية أو موضعا في القرآن

فجاءت صيغة (عقلوه) مرة واحدة، لقوله تعالى: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [4]

وجاءت صيغة (تعقلون) في نحو ٢٤مرة منها قوله تعالى:( إنا أنزلناه قرآن عربيا لعلكم تعقلون)

وجاءت صيغة (نعقل) مرة واحده، في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ {١٠} فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقاً لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ {١١}﴾"الملك /١١"

وفى هذا اعتراف واقع من الكافرين لا محالة في يوم لا يستفيدون منه شيئا بل يزيدهم حسرة وألما، فهم قد عطلوا حاسة السمع وهي إحدى وسائل العقل لإدراك القضايا والحقائق والجمع بين السمع والعقل في الآية الكريمة يوحي بنوع العلاقة التي بينهما، وهي علاقة متبادلة – أخذ وعطاء– فمن يستمع يعقل ما لم يسبق السمع بالإصرار على العصيان، ومن يعقل آيات الله يثمر الاستماع فيه

---

١ ) [سورة: الأنعام – الأية: ١٥١.

٢ ) [سورة: البقرة – الأية: ٤٤] .

٣ ) التفكير فريضة إسلامية / ٧/ وإحياء علوم الدين : للإمام الغزالي ١٤٩/١

٤ ) سورة: البقرة – الأية: ٧٥ .

يقينا ويزيده تعقلا لهذا كان أهل مكة يحرض بعضهم بعضا على ترك الاستماع لآي الذكر الحكيم فلا يجدون حيلة تدفع شوقهم إليه"[1]"

ومن ثم فإن " ربط السمع هنا بفعل العقل دل علي أن سماع دعوة الإيمان يقتضي فهم هذه الدعوة، فإذا كان هناك سمع من غير تعقل فإنه لا قيمة له، فقيمة عمل الحواس هو من قيمة ارتباطها بالعقل[2].

وجاءت صيغة (يتفكرون-تتفكرون) في (١٤) موضعا، وردت صيغة (يفقهون) في (١٣) موضعاً، وكل هذه الآيات جاءت إما للحض على التفكير وإما لمخاطبة العقلاء دون سواهم من الذين لا يريدون أن يعقلوا آو يتفكروا"[3]"

## العقل المدرك:

إن هذا الخطاب المتكرر إلى العقل الوازع يضارعه في القران الكريم خطاب مثله إلى العقل المدرك، أو العقل الذي يقوم به الفهم والوعي، الذي يخاطبه رب العالمين ليستجيش فيه الفهم والوعي وهما أعم وأعمق من مجرد الإدراك، وكل خطاب إلى ذوى الألباب في القران الكريم فهو خطاب إلى اللب،هذا العقل المدرك الفاهم لأنه معدن الإدراك والفهم في ذهن الإنسان كما يدل عليه أسمه باللغة العربية "[4]"

وهذا هو العقل الذي يندبه الله إلى الفكر والرأي ويعبر عنه بالنظر والبصر والتدبر والاعتبار كما في قوله تعالى ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ {٧}﴾ سورة آل عمران/٧

وقال تعالى﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ {١٨}﴾ (الزمر ١٨

وأخيرًا هناك عقل يمن الله عليه بالحكمة والرشد كما في قوله تعالى ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ {٢٦٩}﴾ البقرة "٢٦٩

ويفهم من هذه الآيات وغيرها أن مساحة التفكير في القرآن الكريم أعم من الفكر الفلسفي، كما تبين أنه قد أرتقي القرآن بالعقلاء إلي مرتبة أولي الألباب،

---

[1] ) تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس /د محمد الزعبلاوي/ ٧٣ ، وانظر التفكير فريضة إسلامية /٨

[2] ) مفهوم العقل والقلب في القرآن والسنة /٨١

[4] ) التفكير فريضة إسلامية /٨ ،٩



وهم أكثر الناس تذكراً وتفكراً وأشدهم استمساكا وتصديقا لآيات ربهم حيث "إن اللب الذي يخاطبه القرآن الكريم وظيفة عقيلة يحيط بالعقل الوازع، والعقل المدرك، والعقل الذي يتلقى الحكمة ويتعظ بالذكر والذكري، وخطابه خطاب لأناس من العقلاء لهم نصيب من الفهم والوعي أوفر من نصيب العقل الذي يكف صاحبه عن السوء ولا يرتقى إلى منزلة الرسوخ في العلم والتمييز بين الطيب والخبيث، والتمييز بين الحسن والأحسن في القول. أما العقل الذي يفكر ويستخلص من تفكيره زبدة الرأي والروية، فالقرآن الكريم يعبر عنه بكلمات متعددة تشترك في المعنى أحيانا وينفرد بعضها بمعناه على حسب السياق في أحيان أخرى، فهو الفكر والنظر والبصر والتدبر والاعتبار والذكر والعلم وسائر هذه الملكات الذهنية التي تتفق أحيانا في المدلول ولكنها لا تستفاد من كلمة واحدة تغنى عن سائر الكلمات الأخرى([1]) كما في قوله تعالى

---

[1] ) مثل يعلمون : يعقلون يقول الشيخ الشعراوي ( نجد الله سبحانه وتعالى قد استخدم لفظا معينا .. وفي حالة مماثلة لم يأت بنفس اللفظ حتى أنك حين تسمع الآية تظن أنه سيأتي باللفظ الأول .. ولكنه لا يأتي به .. مثلا يقول الله سبحانه وتعالى :( أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون ) ..

ويقول الله سبحانه وتعالى:( أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ) لماذا الاختلاف في الكلمة.. مع أن العلم العلم والعقل واحد .. أقول إن هناك فرقا كبيرا يحتم في مرة استخدام لفظ يعلمون .. وفي مرة استخدام لفظ يعقلون..

فالله سبحانه وتعالى لا يستخدم لفظين لأداء نفس المعنى ولكن كل لفظ له معناه .. كل لفظ يعبر بدقة عن المعنى المراد منه .. فالله سبحانه وتعالى عندما يقول يعقلون . معناها أنهم لا يفقهون شيئا أي ليس لهم عقول تفكر .. لا يتدبرون في أمر هذا الكون .. أنهم لا يستخدمون عقولهم .. ولو استخدموها وفكروا وتأملوا قليلا لوصلوا إلى أن الله سبحانه وتعالى هو الخالق البارئ .. وأن هذا الكونت بدقته وبديعه لا يمكن إلا أن يكون من خلق الله سبحانه وتعالى .. هذه في كلمة يعقلون .. إذن هنا هو نفي عنهم التدبر والتعقل في أمور العبادة وفي أمور هذا الكون .. ولكن عندما يقول الله سبحانه وتعالى لا يعلمون فهو قد نفي عنهم التعقل والعلم معا.. بمعنى أنني قد أكون أنا باحثا في هذا الكون .. قد أكون متأملا فيه عاقلا لما يدور .. فأفكر بعقلي .. وأصل إلى أشياء .. هذا هو الإنسان الذي يعقل .. أما قوله تعالى( لا يعلمون ). فهو يريد أن يقول لنا . إنهم بجانب عدم تدبرهم في هذا الكون.. وإنهم لا يعقلون الآيات الموجودة فيه .. هم أيضا لا يعقلون ما علمه غيرهم من العلم .. فالذي لا يعقل لا يتدبر ولا يفكر في آيات الكون .. أما الذي لا يعلم فهو لا يفكر بعقله .. ولا يعلم ما عقله غيره .. انه ليس لديه علم .. ولا علم له من نتاج عقل غيره .. فالعلم أوسع من التعقل .. ذلك إن العلم قد يكون علم غيري دونه أو كتبه وسجله وأكون أنا في هذه الحالة قد أخذت هذا العلم .. وقرأته .. فكأني علمت ما عقله غيري .. وهذا يحدث لنا كل يوم فنحن حين نقرأ كتابا جديدا نعقل ما علمه غيرنا .. وحين نذهب إلى الجامعة ندرس ما علمه الأساتذة وكبار المفكرين .. فأنا لم أعقل الجاذبية

(ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون)(البقرة /٢١٩ وقوله تعالى(والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار[1]) آل عمران /١٣" وقوله تعالى: ﴿ وَهَـذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيماً قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ {١٢٦} (الأنعام/١٢٦ وقوله تعالى هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ {٥}﴾سورة يونس/٥)

من هذه الآيات يتبين لنا أن التفكير فريضة فى الإسلام، وأن العقل الذى يخاطبه الإسلام هو العقل الذي يعصم الضمير ويدرك الحقائق ويميز بين الأمور، ويوازى بين الأضداد، ويتبصر ويتدبر ويحسن الادكار والرواية، وانه هو العقل الذي يقابله الجمود والعنت والضلال، وليس بالعقل الذي قصارا ه من الإدراك، انه يقابل الجنون فإن الجنون يسقط التكليف في جميع الأديان والشرائع وفى كل عرف وسنة، ولكن الجمود والعنت والضلال غير مسقطة للتكليف في الإسلام، وليس لأحد أن يعتذر بها كما يعتذر للمجنون بجنونه فإنها لا تدفع الملامة ولا تمنع المؤاخذة بالتقصير.

وفريضة التفكير فى القران الكريم تشمل العقل الإنساني بكل ما احتواه من هذه الوظائف بجمع خصائصها ومدلولاتها، فهو يخاطب العقل الوازع، والعقل المدرك، والعقل الحكم، والعقل الرشيد، ولا يذكر العقل عرضا مقتضبا بل يذكره مقصودا مفصلا على نحو لا نظير له في كتاب من كتب الأديان"[2]"

ومن هنا يقول ابن رشد:"إن الشرع قد أوجب النظر فى الموجودات واعتبارها وذلك أخذا من آيات القرآن العديدة في هذا الشأن "[3]

---

مثلا .. ولم أعقل قوانين الفضاء لأنني لم أشتغل بها لكي أصل إليها بعقلي .. ولكي علمتها عن طريق عالم في الفضاء .. أو في الجاذبية .. ووصل بعقله وفكره إليها ثم قرأت أنا ما علمه هو .. فأنا هنا علمت ما عقله غيري .. فالله سبحانه وتعالى حين يقول لا يعقلون في الأية الأولى .. أي أنهم لا يتدبرون في الكون مستخدمين عقولهم .. لأنهم يقولون.. (( بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا )) .. ومن هنا فإن الله رد عليهم (( أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون)) ..

[2] ) التفكير فريضة إسلامية / ٤، ٥

[3] ) فصل المقال فيما بين الشريعة من والحقيقة من اتصال / ابن رشد / تحقيق د/ محمد عمارة / ط.دار المعارف ١٩٨٣م



كما تبين لنا أن القرآن وهو يربط فعل العقل بهذه الظواهر سواء فى عالم الطبيعة، أو الإنسان، أو النبات، إنما يريد من الإنسان أن يمارس دوره الحقيقي عن طريق الفعل"يعقل" أي أن يسلط أضواء ذلك المصباح الكاشف في داخل نفسه على أشياء الطبيعة، وعلى أشياء الإنسان، وأن يكون ذلك بكل ما يملكه من أدوات الكشف والمعرفة بحسه ببصره بسمعه.. ببصيرته النفاذة لكي يدرك أسرار الكون والقوانين العلوية التي تقف وراء نظام الطبيعة المدهش، والنواميس التي تحكم حياة الإنسان ووجوده.

ونعتقد أن الهدف الأول هو الإيمان بأن وراء هذه القوانين والنواميس قدرة خارقة ذات إرادة فعالة تصنع المعجزات ومنها الكون والإنسان والطبيعة.

فعل العقل- كما يبدو لنا - غير منفصل عن العقل، والعقل هو أداة المعرفة وأداة الفهم والإدراك واستنباط الحقائق الكونية."[1] ذلك أن الإيمان الصحيح هو الذي ينبعث من ضياء العقل وحرارة القلب .

فلا ريب أن كل نظرة وفكر في ملكوت السموات والأرض تزيد الإنسان إيمانا بقدرة الخالق كما تزيده منافع كثيرة.

وأخيراً نقول: هكذا نزل القرآن علي خير الأنام مخاطبا العقل وحاثا له علي التفكير في خلق السماوات والأرض وفي خلق الإنسان نفسه من أول خلقه من نطفة إلى آخر مراحل خلقه، وذلك فى قوله تعالي فى أول آية نزلت من القرآن فى عصر الجاهلية، عصر الظلمات وغل العقول بأغلال الكهنة والشرك والضلال، فكان فاتحة عصر جديد، وتحريراً للعقول من عقالها، وحرية لاعتناق ما يروقها ويقنعها، وتوجيه من رَبِّ العلمين أنزل أول آية من القرآن ثم أمر رسوله صلى الله عليه وسلم – أن يقرأها فقال تعالي﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ {١} خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ {٢} اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ {٣} الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ {٤} عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ {٥}﴾العلق/١-٥

ولا شك أن فهم هذه الآية يحتاج إلي بحث وتدبر واستعمال للعقل واستعانة بالعلوم الطبيعية وغيرها ممن لم يكن يعلمها آهل هذا العصر كما يشير إلي ذلك قوله تعالي:(علم الإنسان ما لم يعلم) و لقد أيد ذلك البروفسير" هارون مصطفى" عالم

---

[1] ) مفهوم العقل والقلب في القرآن والسنة /د/ محمد علي الجوزو ٩٨ ط دار العلم للملايين ط أولي ١٩٨٠

الجيولوجيا الأوربي الذي أسلم سنة ١٨٨٢فقال:من مزايا الإسلام أنه مبني علي العقل ولا يطالب معتنقيه أبدا بتجميد طاقاتهم الفكرية، مخالفا بذلك عقائد أخرى تلزم تابعيها بالاعتقاد الأعمى لمذاهب وآراء معينة دون تفكر فيها "[١].

ولم تكن السنة المطهرة بأقل إثارة للعقل الإنساني وإلحاحا عليه للقيام وظيفته وأداء مهمته من القرآن، فطلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة الأحاديث الكريمة التي تحث على طلب العلم وتبين فضله ومكانته والإشادة بأهل العلم والعلماء أكثر من أن تحصى.[٢]

١ ) انظر القرآن يقوم العقل والنفس واللسان أ/خلف محمد الحسيني / ٥ وما بعدها ط نهضة مصر ١٩٩٠م

٢ ) ومن الأحاديث الصحيحة التي تبين مكانة العقل في السنة المطهرة: حديث (ماعز بن مالك الأسلمي الذي جاء يتعرف أمامه بالزنا، فقال:( أتعلمون بعقله بأساً تنكرون منه شيئاً ؟) فيجب : (( ما نعلمه إلا وفي العقل )[٢]أي تام العقل، كامله

وما روي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: كرم الرجل دينه ، ومروءته عقله ، وحسبه خلقه )[٢] فجعل المروءة هي العقل تقدير كبير لقيمة العقل وأهميته.

وعن أبي عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطيئة والنسيان وما استكرهوا عليه) كما أستخدم النبي صلى الله عليه وسلم قياس الأولى حديث "ذهب أهل

## سادساً: وظائف العقل في الإسلام

لقد خلق الله عز وجل الإنسان بيده، ونفخ فيه من روحه، وكرمه وفضله على كثير من خلقه، واقتضت حكمته تعالي أن يكون هذا الإنسان خليفته في أرضه، وسخر له كل ما في السموات وما في الأرض لمنفعته، ويسر له سبيل الهداية إلى سعادته في دنياه وآخرته، ووهب له العقل يدرك به حقائق الأشياء، وميزه بالتفكير، ومكنه به من السيطرة والانتفاع بما أوجده له على هذا الكوكب الأرضي، واعتبر هذا العقل مناط الخطاب والتكليف، فمن فقده فقد ميزة الإنسان، ورفع عنه القلم والتحق بالأنعام.

ومن ثم فإن "النظرة الواقعية الإسلامية تؤكد بكل حزم وثبات، ومن خلال كافة أحكامها ومجمل مقرراتها على أن الإنسان كائن كرمه الله وفضله وميزه علي سائر الكائنات، ويكن له غاية التقدير والتجليل والتكريم بصفته أشرف المخلوقات في هذه الدنيا" قال:تعالى{ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر

الدثور بالأجور " وقياس الأولى وليس معقولاً ما ذهب إليه بعض العلماء من أنهّ لم يرد حديث واحد صحيح في العقل[٢]



والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا }"سورة الأحزاب/٧٢ "

إن "هذه الكرامة التي أختص الله بها الإنسان ذات أبعاد مختلفة فهي حماية إلهية للإنسان تنطوي على احترام عقله وفكره وإرادته، وتنطوي أيضا على حقه في الأمن على نفسه وماله وذريته" [١]

وهو مكرم بعد ذلك لعلمه وفكره، ذلك ما صرح به القرآن حين حكى قصة خلق آدم: "﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ {٣١} قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ {٣٢} قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ {٣٣}﴾[البقرة / ٣١ – ٣٣]

ورتب على ذلك مباشرة سجود الملائكة لآدم، فقال تعالي ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ {٣٤} ﴾

١ ) دراسات إسلامية د/ محمد عبد الله دراز : ٣٣ طدار القلم الكويت

[البقرة/٣٤].فأي تكريم أعظمُ من هذا التكريم ؟![٢]

كما أن هذه الكرامة تعني في النهاية الحرية الحقيقة، وهي تلك الحرية الواعية المسئولة التي تدرك أهمية تحملها أمانة التكاليف، وهى المسئولية التي أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ {٧٢}﴾الأحزاب/٧٢

ولهذا كان التكريم الذى منحه الباري سبحانه للإنسان " فلم يبلغ الإنسان كل هذا التكريم الذي سما به فوق الكائنات إلا بالعقل الذي اختصه الله به، وميزه به على سائر المخلوقات، وقد نوه الإسلام بالعقل والتعويل عليه في أمور العقيدة المسؤولية والتكليف، ولا تأتى الإشارة إلى العقل في القرآن الكريم إلا في مقام التعظيم والتنبيه إلى وجوب العمل به و الرجوع إليه وذلك ما يؤخذ من كل الآيات القرآنية التي وردت الإشارة فيها إلى العقل.

٢ )أنظر منهج التفكير الإسلامي / د/ علي جريشة / ٧ /٩

ومن ثم فلم يكن من قبيل المصادفة أن تكون الإشارة إلى العقل في القران في صيغ عديدة، فتارة بلفظ القلب أو الفؤاد، وتارة في صيغ أفعال بلفظ المفرد أو بلفظ الجمع مثل يعقلون، يفقهون، يتفكرون، ينظرون، يبصرون، يعتبرون، يتدبرون، يعلمون، يتذكرون، وتارة ثالثة في صيغة أولى الأبصار، أولى النهى، فقد أراد القران أن يعبر بذلك عن الوظائف العقلية التي أراد الله للعقل الإنساني أن يمارسها في هذا الوجود"[1]

أما التفضيل الذي اختص الله تعالى به الإنسان فقد قصره بعض العلماء على العقل يقول الإمام القرطبي: "والصحيح الذي يعول عليه أن التفضيل إنما كان بالعقل الذي هو عمدة التكليف، وبه يعرف الله،ويفهم كلامه،ويصدق رسله"[2]

**وخلاصة القول** : فإذا كان الله سبحانه وتعالى قد اختصّ الإنسان بالتكليف والمسئولية فإنه من ناحية أخرى قد خَلَق جميع الموجودات في هذا الكون لأجل خدمة الإنسان ولتلبية احتياجاته ومتطلباته ليمارس فيه نشاطاته المادية والروحية على السواء فهو المالك لمواردها ومنابع الثروة على وجه الخصوص،" ولفت نظر الإنسان إلى أنه مسلط عليها بإذن الله، وأن الله قد سخرها له ، من أكبر الأجرام التي تؤثر في حياته كالشمس ، إلى أصغر الكائنات التي يستطيع الاستفادة كالنحل،والذرة"[3]

قال تعالى (الم ترا أن الله سخر لكم مافي السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرةً وباطنه ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتب منير} لقمان -٢٠"

وقال تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ {٣٢} وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ {٣٣} وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ {٣٤}﴾{إبراهيم:٣٢-٣٤}.

[1]) أنظر دور الإسلام في تطور الفكر الفلسفي د/ محمود حمدي ذقذوق ٦ ،٧ ، ط وهبة

[2]) أنظر الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي / ١٠/ ٢٩٤

[3]) دراسات إسلامية د/محمد عبد الله دراز ٣٣ ط در القلم الكويت



وقال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ {١٢} وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ {١٣} وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ {١٤} وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ {١٥} وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ {١٦} أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ {١٧} وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ {١٨} ﴾{النحل: ١٢- ١٨}

إن هذه الآيات وكثيراً أمثالها تربي وتوجه العقل إلي مبدأ علمي عملي، كان آخر ما اهتدى إليه الفكر الغربي، وهو مبدأ التقنية واستخدام القوانين العلمية وقوى الكون لرفاهية الإنسان، ذلك أن كل آية من هذه الآيات التي نزلت منذ أربعة عشر قرنا، تقول للإنسان:استخدم حرارة الشمس التي سخرها الله لك واستخدم ضوء القمر، والرياح والنجوم، والأنهار والجبال، والبحر، وكل شيء سخره الله لك، وجعل مفتاحه بيدك"[1]

فالقرآن الكريم يوجه العقول إلى الانتفاع علما وعملا بما أبدعه الله تعالى من الكائنات حيث يقول " هو الذي خلق لكم مافي الأرض جميعا " أي خلق لأجل أن تنتفعوا به في كل ما استطعتم أن تصلوا إليه من وجوه النفع . ومن الواضح أنه لا سبيل إلى الانتفاع بما أبدعته القدرة الإلهية إلا بعد التفكير والوصول إلى ما أودع فيه من القوى والأسرار، فهذه العبارة تدفعنا دفعا قويا إلى التأمل والنظر إلى كل ما حوته الأرض على عظمتها، وسعة أرجائها،لا فرق في ذلك بين ما هو ظاهر فوقها وما هو مستقر في جوفها من الكنوز الكثيرة المتفرعة، وتحضنا هذه العبارة حضا بليغا على الانتفاع بنتائج تفكيرنا فيما يحيط بنا من بدائع صنع الله في البر والبحر، وبين طبقات الأرض .

فإذا لم نعمل بما توحي به هذه العبارة الكريمة من إعمال النظر والفكر في الكائنات التي خلقها الله، والانتفاع بما يؤدى إليه النظر من الصناعات

[1]) أصول التربية الإسلامية /عبد الرحمن النحلاوى /٤٤ طدارالفكر المعاصر لبنان

والاختراعات التي تقوم عليها حضارة الأمم، ويرتبط بها رقيها وتقدمها، إذا لم نعمل كنا مقصرين في حق أنفسنا، ومهملين لما يحثنا عليه القرآن الكريم [١]

لأجل ذلك يحث الإسلام كلَّ الناس على استخدام عقولهم، فنجد القرآن الكريم حافلا بالآيات والتوجيهات التي تحث وتدعو الإنسان إلى إعمال عقله واستخدامه في الملاحظة والتجربة، والتفكير في ملكوت الله تعالى، والنفس السموات والأرض والآفاق، وما فيها من عجائب وأسرار، وذلك لأن العقل مهمته التي خلق من أجلها هي النظر والتأمل والتفكير في الموجودات للوصول من هذا بالعقل إلى المجهول"

ويرى فضيلة الشيخ محمد الغزالي- رحمه الله تعالى- "أن الإسلام دين فطرة، ومعنى الفطرة الطبيعية فهو دين طبيعي، وأوتيت العقل لأفكار، فكل ما هو فطرة في حركات العقل والأعضاء، لآبد أن اعلم أنه دين، ولا بد أن ابشاره لأن هذا حقي الطبيعي. وكما يقال طبقا للقاعدة العامة إن الإنسان حر "[٢].

ومن هنا كانت وظائف العقل في القرآن الكريم غير محدودة، ويضيق المقام بنا لو ذهبنا نرصد كل ما في القرآن من آيات في هذا الشأن، لكن نكتفي بذكر بعض الآيات، يقول الله تعالى: (أولم ينظروا في ملكوت السموات وألا رض وما خلق الله من شيء ) وقال تعالى:( قل أنظروا ماذا فى السموات والأرض )ومعنى هذه الآيات أن القران الكريم يدعو الإنسان بطريقة مباشرة ويوجب عليه النظر في المخلوقات والاعتبار بها.

وعلى هذا الأساس فإن" ممارسة الوظائف العقلية تعد واجبا دينيا في الإسلام فإنها من ناحية أخرى مسؤولية حتمية لا يستطيع الإنسان الفكاك منها، وسيحاسب على مدى حسن أو إساءة استخدامه لها، مثلما يسأل عن استخدامه لباقي وسائل الإدراك الحسية" [٣]

فالعقل شرط في معرفة العلوم، وفي الأعمال وصلاحها، وبه يكمل الدين

---

١ ) انظر منهاج القران في التربية د/ محمد أمين أبو بكر ٢٢٦ :٢٢٧ ضمن حولية كلية أصول الدين سنة ١٤٠١ه-١٩٨١ م

٢ ) حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة / الشيخ / محمد الغزالي ٧٨

٣ ) دور الإسلام في تطور الفكر الفلسفي أ.د / محمود زقزوق ى/٨



والعمل، ولكنه لا يستقل بذلك، إذ هو غريزة في النفس وقوة فيها كقوة البصر، إن اتصل به نور الإيمان والقرآن، كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنهار، وإن انفرد لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن إدراكها وإن أبعد بالكلية كانت الأقوال والأفعال أمورا حيوانية [١]

لذلك فإن من مزايا القرآن الكثير تلك المزية الواضحة وهى التنويه بالعقل والتعويل عليه فى أمر العقيدة وأمر التبعة والتكليف. ولا تأتي الإشارة إليه عارضا ولا مقتضبة في سياق الآية بل هى تأتي في كل موضع من مواضعها مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة وتتكرر فى كل معرض من معارض الأمر والنهي التي يحث فيها المؤمن على تحكيم عقلة أو يلام فيها المنكر على إهمال عقلة وقبول الحجر علية.[٢]

## العناية بالتربية العقلية

ولما كان تحرير العقل الإنساني من أصعب الأمور وأشقها لما فى ذلك من نزع عقائدها الموروثة فقد سلك الإسلام طريقا عمليا لتحرير الفكر الإنساني من الجمود والتقليد. فبدأ الإسلام بالتربية العقلية وذلك بتحديد مجال النظر العقلي، ليصون العقل من أن تتبدد طاقته وراء الغيبيات التي لا سبيل للعقل البشري أن يحكم فيها، فالعقل يكون وسيلته إلى الله ومعرفة الحق من خلال تدبر الظاهر للحس والمدرك المتصور، ومن ثم يحدد الإسلام مجاله فلا يتركه يغرق في التيه - كما يعمل الإسلام على تدريب الطاقة العقلية على طريقة الاستدلال المثمر و التعرف على الحقيقة من خلال وضع المنهج الصحيح للنظر العقلي ومن خلال تدبر نواميس الكون وتأمل ما فيها من دقة وارتباط، وذلك من خلال وسيلتين .

الوسيلة الأولى: أن الإسلام يحقق ذلك من خلال تفريغ العقل من المفردات السابقة التي تقوم على الظن والتقليد: (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون)

والله يأمر بالتثبت من كل أمر قبل إتباعه و الأخذ به وفي ذلك يقول القرآن: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً {٣٦}﴾الإسراء ٣٦وهي مسئولية ضخمة وقد أفردها ليكون كل منها مسئولا على حدة وغيرها من توجهات

---

١ ) مجموع الفتاوى للإمام أبن تيميه / ٣/٣٣٨: ٣٣٩

٢ ) الأصول الإسلامية للتربية /د ،سعيد إسماعيل /٨٤

وتدريبات موجودة في القرآن لتدريب الطاقة العقلية علي طريقة العمل الصحيح ومنهج التفكير السليم.

آما الوسيلة الثانية: وهي تدبر نواميس الكون فهي تطبع العقل بطابع الدقة والتنظيم، لأن نواميس هذا الكون تجري في دقة عجيبة ونظام لا يختل، والتدبر والتأمل فى هذا الكون تعود العقل علي دقة النظر، وتطبعه بطابع الدقة والتنظيم فينال العقل من خلال ذلك ربط أفكاره، وإيجاد العلاقات، والوصول إلي الكليات، وحقائق الكون، فيصل من خلال كل ذلك إلي أن هناك إلهاً واحدا قادراً عظيماً خالقاً أوجد كل تلك النواميس، فهو إثبات على وحدانية الله ولو كان مع الله إله آخر لفسدتا ولعم الفوضى والفساد، ولكن وجود هذا النظام المتكامل والمنظم في خلق هذا الكون هو دلالة عظيمة على وحدانيته جل جلاله .

ونجد القرآن وهو خير مربٍ للإنسان دائما ينبه الإنسان إلى الأدوات التي بها يحرز المعارف السليمة عن طريق النظر والتأمل والتفكير السليم .

فالسمع والبصر والعقل هي الأدوات التي يكتسب بها الإنسان معلوماته، وهي المنافذ التي يطل منها على هذا الكون الفسيح، ليعرف أسراره ويدرك شئونه، وينتفع بما أودع فيه من بركات الله "[1] فينعم بها ويشكرها، فتطيب الحياة ويسعد المجتمع.

ولما كان السمع والبصر والفؤاد من نعم الله الجليلة، وكل نعمة من الله تستحق الحمد والثناء والشكران، وشكر هذه النعم استخدامها علي الوجه الذي خلقت له وعلي النهج الذي جعله الله لهذه الحواس من وسائل العلم بأمور الدنيا والآخرة، وحث علي استعمالها في الوجوه النافعة، فقال تعالي ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ {٧٨}﴾ [النحل:٧٨].

" فالسمع معناه إحراز المعرفة التي اكتسبها الآخرون، والبصر معناه تنميتها بما يضاف إليها من ثمرات الملاحظة والبحث، والفؤاد معناه تنقيتها من أدرانها وأوشابها، ثم استخلاص النتائج منها، وهذه القوى الثلاث إذا تضافرت بعضها مع بعض، نجمت عنها(المعرفة) التي منَ الله بها على بني آدم، والتي بها وحدها استطاع الإنسان أن يهزم سائر المخلوقات ويسخرها لإرادته".

[1] ) إنظر منهج التربية في التصور الإسلامي ،د/ على أحمد مدكور ٢٦٢ط أولي ٢٠٠٢م دار الفكر العربي



ويعقب أبو الأعلى المودودي علي هذا بقوله: ( ولو أردت التعمق في تأمل هذه الحقيقة لاهتديت في النهاية إلى أن هؤلاء الذين لا يستخدمون هذه المقدرات أو ينتفعون بها في قدر محدود، هم الذين كتب عليهم العيش في حالة التأخر ولانحطاط، تحت كنف الآخرين وسلطانهم أما الذين يوظفون هذه القوى على أوسع نطاق فهم – على العكس – يظفرون بالسيادة والسيطرة، وهم الذين يصبح لهم حق قيادة الشعوب وتوجيهها)[1]

و" تظهر أهمية عمل العقل وعمل الحواس من قول الكفار أثناء العذاب في الآخرة:(لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) [سورة الملك/١٠]. فربط السمع هنا بفعل العقل دل على أن سماع دعوة الإيمان يقتضي فهم هذه الدعوة، فإذا كان هناك سمع من غير تعقل فإنه لا قيمة له، فقيمة عمل الحواس هو من قيمة ارتباطها بالعقل".[2]

هكذا تكون تربية العقل: بالعلم، والعلم هو كل العلم وليس العلم الديني فحسب، وبذلك تنمو العلاقة بتنمية العقل والروح، لذلك جعل الإسلام من أهداف التربية نشر العلم والثقافة والمعرفة، وقد جاء الإسلام يحث الناس على التعليم، فارتفع المستوى العقلي لأمة العرب فعرفوا عن طريق القرآن، الكثير من أحوال الأمم الماضية من خلال قصص الأنبياء وموقف أممهم منهم، ثم انتشرت بينهم حركة تشريعية كبرى نتيجة تعاليم الإسلام المتعلقة بتنظيم الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، كما دعا الإسلام المسلمين إلى إعمال عقولهم في النظر في ملكوت الله في السموات والأرض والإنسان، فالله سبحانه يقول ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ {٢٤} أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبّاً {٢٥} ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً {٢٦} فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبّاً {٢٧} وَعِنَباً وَقَضْباً {٢٨} وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً {٢٩} وَحَدَائِقَ غُلْباً {٣٠} وَفَاكِهَةً وَأَبّاً {٣١} مَّتَاعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ {٣٢} فَإِذَا جَاءتِ الصَّاخَّةُ {٣٣} يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ {٣٤}﴾ [عبس:٢٤-٣٢])

[1] ) المنهج الإسلامي الجديد / أبو الأعلى المودودي/ ٥ ط جمعية التمدن الإسلامي / دمشق ١٣٧٥ ه

[2] ) أنظر مفهوم العقل والقلب في القرآن والسنة/ ٨١

## المبحث الثاني
## التفكير في الإسلام

### أولا: التفكير فى اللغة.

(فكر) في الأمر-فكرًا:أعمل عقله فيه ورتب بعض ما يعلم ليصل به إلى المجهول.

(والتفكير) إعمال العقل في مشكلة للتوصل إلى حلها، و(الفكر) هو إعمال العقل في أمور معلومة للوصول إلي معرفة مجهولة ويقال: لي في الأمر فكر: أي نظر وروية "[1]"أما (الفكرة) فهي الصورة الذهنية لأمر ما والجمع:فكر.

فالتفكير إذن عملية من عمليات العقل العليا، ذلك أن المفكر يستحضر في ذهنه الصورة الكلية للموضوع أو القضية المقصودة بالبحث والتحليل، وهي تمر بمرحلة أوليه لتحديد الإطار العام للقضية موضوع التفكير، ثم يعيد النظر في هذا الإطار الشامل تمهيدا لتحديد الجزئيات المندرجة تحته، ثم يأخذ طرائقه لجمع المعلومات ذات الصلة بالموضوع "[2]".

وقد عرفه الإمام الغزالي فى الإحياء بقوله:" التفكير هو إحضار معروفين فى القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة"[3].

---

[1] ) التعريفات للجرجاني / ١٣٨

[2] ) انظر تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس/ ٦٧/

[3] )إحياء علوم الدين: للغزالى/١/٧٧

### الاهتمام بمنهج التفكير

لاشك أن العلم قضية مهمة وركيزة أساسية "في تنمية الشخصية الإنسانية، باعتباره المنهج الصحيح للوصول إلى الحقائق والمعرفة النافعة، وإن السمع والبصر والعقل التي أنعم بها الله على الإنسان هى الأدوات التي يكتسب بها الإنسان معلوماته والتي يطل من خلالها على هذا الكون الفسيح، ليعرف أسراره، ويدرك شئونه، وينتفع بما أودع فيه من بركات الله قال تعالى: فى وصف أولي الألباب ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ {١٩١}﴾ آل عمران /١٩١

وأسباب العلم والوصول إليه يتم من خلال النظر و التأمل والتفكير في ملكوت الله، فمنهج التفكير يوصل إلى العلم الحقيقي، وإلى الثقافة العلمية، وإلى النظام الشامل وإلى حسن النظر في الأمور وإلى معرفة الله وتقواه.

إن هذا المنهج العلمي للنظر العقلى دقيق دقةً متناهية، ويحث العقل على تمحيص الحقيقة وعدم التأثر بمجرد الظن، ويحث أيضا على طلب الدليل فى كل اعتقاد، ويوجه العقل إلى عدم التسرع في



إصدار الإحكام فيبصره إلى حقائق الأمور.

وبهذا يرتفع شأن الإنسان، ويكون قادرا على التمييز بين الباطل والحق، والخير والشر، والصواب والخطأ، والهدى والضلال، والحسن والقبيح، والنافع والضار، ومن هنا فإن منهج التفكير هو للعقل كالنور للعين، لا يستغنى عنه بحال. ومن ثم كانت قيمة الإنسان على قدر تحصيله منه، وهو يساعد على ترقية الحياة والنهوض والعمران.

حتى إن العبادة بدون تفكير لا يصل الإنسان فى هذه العبادة إلى معانيها السامية والعلو الروحي لتفوقه علاقته وصله بالله."[1]

**وخلاصة ما جاء في دعوة الإسلام إلي التفكير** أن " الفكر عبادة، أو هو عقل يتأمل ويتعبد، ولذا جاء في الحديث (تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة) كما أن الفكر وسيلة لمعرفة النفس البشرية وأسرارها، ولذلك " يطلب التفكير في أحوال النفس ومعارفها وأفعالها قال الفضيل:" الفكر مرآة تريك حسناتك وسيئاتك " وقال الحسن هذه الحكمة البليغة " إن أهل الله لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر، وبالفكر على الذكر حتى استنطقوا قلوبهم فنطقت بالحكمة " وقال أيضا " ما طالت فكرة امرئ قط إلا علم وما علم قط إلا عمل، وقال عمر بن عبد العزيز" الفكرة من نعم الله عز وجل ومن أفضل أنواع العبادة " وقال ابن عباس " التفكير في الخير يدعو إلى العمل به والندم على الشر يدعو إلى تركه ".

وقال الشافعي رضي الله عنه " استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكر " وقال أيضا " صحة النظر في الأمور نجاة من الغرور، والعزم في الرأي سلامة من التفريط والندم، والروية والتروي يكشفان عن الحزم، وتفكر قبل أن تعزم، وتدبر قبل أن تهجم، وشاور قبل أن تقدم " وقال الشاعر:

إذ المرء كانت له فكرة
ففي كل شيء له عبرة[2]

وبالفكر يتأمل الإنسان أدق مظاهر الحياة ويقارن بين الموت المؤقت وهو النوم والموت النهائي.

---

[1] ) دعوة الإسلام للشيخ/ السيد سابق

[2] ) نقلا عن التصوف الإسلامي الخالص / للسيد محمود أبو القبض المنوفي/ ٧٨_٧٩ ط دار نهضة مصر . الفجالة . القاهرة

وبالفكر يتأمل سر العاطفة التي تربط الرجل بالمرآة، وتزاوج الثمار والنبات وعمل النحلة في خلاياها.

وبالفكر يتخذ من لوحات الطبيعة صوراً عن الحياة الإنسانية ليقارن بينها ويعرف حقيقتها، ويعتبر، وبالفكر يميز بين الخير والشر والإخلاص والرياء ويختار الأفضل.

وبالفكر يقارن ما يقول الكفار عن محمد ويتهمونه به من جنون وبين حياته وسلوكه وعقله الذي اشتهر به، فيكشف كذب الكفار فيما يدعونه.

وبالفكر يقوم بدور دراسة حياة محمد، ويتتبع أقواله، ويعرف أنه جاء يدعو كغيره من الأنبياء إلى الإيمان بالله ويحذر الناس من الشر والكفر، وبالفكر يستنبط العلل المنوطة بأحكام الشريعة ليقنع بضرورتها.

وبالفكر يتأمل تسخير كل ما في الطبيعة لخدمة الإنسان وحياته ووجوده على الأرض فيدرك سر العناية الإلهية به"[1]

ومن هنا كان التركيز علي البناء الفكري للإنسان من خلال دعوة شاملة لا تقتصر عل جانب من جوانب الكون، أو ناحية من نواحي الحياة، فكل ما خلق الله يمكن أن يكون موضوعا للتأمل والنظر والتدبر والتفكير المستنير ومن هنا كانت أهمية الفكر في الإسلام.

## ضوابط الفكر في الإسلام

لقد تبين لنا مما سبق أن الإسلام قد أهتم بالعقل اهتماما بالغا فجعله مناط التكليف، فإذا فقد ارتفع التكليف وعد كالبهيمة لا تكليف"[2]"بل جعله الإسلام أحد لضروريات الخمس التي أمر الشارع بحفظها ورعايتها، لأن مصالح الدين والدنيا مبنية على المحافظة عليها.

بل من التشريعات الإسلامية ما هو مختص بحماية العقل كتشريع الخمر وكل ما يؤدى إلي حدوث أي ضرر بالعقل .فضلا عن أن الإسلام قد أطلق العنان للعقل وخلصه من كل القيود والأغلال التي كانت تقيده، بل جعل ممارسة الوظائف العقلية واجباً دينياً.

إلا أن العقل الذي يستطيع أن يؤدي وظيفته على أكمل وجه هو العقل الذي تجرد من الهوى وخلص من ربقة التقليد، فلم يتأثر بالآراء والأفكار المنحرفة التي تدفعه للوقوع في الضلال، كما أنه لم

[1] ) مفهوم العقل والقلب في القرآن والسنة /١٣٢/ ١٣٣

[2] ) انظر الموافقات ١٣/٣



يعطل قواه بإتباع أعمى فينجر إلى الانحراف والزيغ، فهذا هو العقل الذي يمكنه أن يحمل رسالة الإسلام حملا صحيحا، منصاعا لتكاليف الإسلام، منقادا لأوامره، منتهيا عن نواهيه .

وأحكام الإسلام كلها معقولة لم تخاطب إلا العقل، ولم توجه إلا إليه، فحث الإسلام العقل على التفكير والتدبر ولتبصر ونهاه عن التقليد والخضوع الأعمى للسادة والكبراء، ووجه الدعوة إليه معزولة عن وسائل الضغط والشدة والقصر والإكراه كما قال تعالى: (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من ألغى) [البقرة:٢٥٦] .[1]

بل إن الوحي كان أكبر وأعظم موقظ للعقل في حياة الإنسان، والوحي كله تذكره ويقظة للعقل، والعقل داخل في فلسفة كل التشريعات والأحكام والمبادئ والقيم الإسلامية، وفى ذلك يقول:الإمام الماوردي الشافعي رحمه الله:"اعلم أن لكل فضيلة أسا، ولكل أدب ينبوعا، وأس الفضائل وينبوع الأدب هو العقل الذي جعله الله تعالى للدين أصلا، وللدنيا عمادا، فأوجب التكاليف بكماله، وجعل الدنيا مدبرة بأحكامه "[2]

ومن هنا فقد أطلق الإسلام حرية الفكر والإبداع، وأعتبر العقل قوة صالحة للحكم علي الأشياء، وخلصه من الهوى والجهل والتعصب، ذلك أن "الهوى ونزغات النفوس صارت مع الحرية قيوداً رهيبة تعوق الفكر عن أن يحلق في آفاق المثل والقيم العليا! والمادة بصورها المختلفة، وأثقالها المتعددة، وجاذبيتها الشديدة ... صارت تشد الفكر إلى الطين، بدلا من أن يرتفع مع الروح إلى سبحاتها تحت العرش!

ومن ثم شهد هذا العصر ألوانا من الفكر الهابط . بل لقد راج ذلك الفكر الهابط حتى عشش في عقول الناس، وحتى تعاطوه في أدبهم، وقصصهم، ومواد إعلامهم.

ومن هنا فإن ضوابط الفكر تتعلق أولا بالغاية ... فتحدد للمسلم الهدف فلا يضل ولا يزل.وتتعلق ثانيا بالمنهج فيعلم صراط الله مستقيما، فلا تتفرق بهم السبل! وتتعلق ثالثا بالوسيلة، فلا يرتضي بالوسيلة الخسيسة سعيا إلى غاية شريفة! ويرتبط خامسا بوظيفة الإنسان على هذه الأرض وصلته بالمجتمع ومكانه فيه"[3]

[1] ) لمحات في وسائل التربية وغايتها ٩٧/٩

[2] ) أدب الدين والدنيا /٧، ومفردات ألفاظ القران للراغب الاصفهاني /٣٢٨

[3] ) انظر منهج التفكير الإسلامي / ٤٩/ ٥٠

## الغاية من التفكير

وغاية التفكير في خلق الله هو توجيه العقل البشري إلى ما يجب أن يتجه إليه من إيمانه بالله خالق الكون بالحق، لأن التدبر في آيات الله يؤدي إلى ذكر الله وعبادته القائمة على المعرفة والإدراك الواعي، وربط المعرفة بأداء متطلباتها في واقع الحياة، وهو ذكر الله في كل الحالات، وقد وجه القرآن لدراسة النبات والجماد والحيوان لأن دراستها ومعرفتها تؤدي إلى معرفة الله والخشية منه وفي ذلك يقول الله تعالى:(ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود * ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور)[فاطر:٢٧-٢٨]"[1] وهذا كله يربي القرآن عقل المؤمن على التعقل وعدم تعليل الأمور حسب هواه ومصلحته، بل يجب أن يعرف أن لكل ظاهرة كونية فوائد ومضار، فيطلب فوائدها ويستبعد مضارها.[2]

وبهذا المنهج الإلهي يتحقق الرقي العقلي الذي يؤهل الإنسان للإيمان بالله كما يؤهله للبحث عن حقائق الأشياء، ومعرفة مكانه من هذا الكون، ويرتفع به لإدراك الحق، وقد قال الأئمة: إن أكمل الناس أغزرهم عرفنا للحق وأقدرهم على العمل بما يوافق الحق[3]" ولذالك يجب رفع الكفاءة في التفكير والخبرة والأداء لدى كل الأفراد وكل الأجهزة العاملة في المجتمع"

ومما يؤكد أن ترقية العقل وتحريره كانت هدفا أساسياً ما ورد في القرآن الكريم من آيات تعلي من شأن العقلاء حين مدحت أولى الباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم يتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار} وإلى جانب ذلك تحمل آيات القرآن بشدة على الذين لا يرتقون بعقولهم وتفكيرهم بل يبقون في مراتب هابطة من التفكير وصفهم بأنهم كالأنعام.

هذا وإنه من الأيمان بالله أيضا ينبع احترام العقل وحب العلم وتحري الحقيقة، فالله سبحانه أعطى الإنسان أكبر

---

[1] ) المصدر السابق.

[2] )أصول التربية الإسلامية وأساليبها – عبد الرحمن النحلاوي .

[3] ) الإعلام عن مناقب الإسلام . للإمام العامري / ١٩٣ / ١٩٥



منحة وأكبر ميزة ألا وهي العقل . فبالعقل أصبح الإنسان إنسانا، وبتسلط العقل على الطبيعة استطاع الإنسان أن ينشئ العلوم الحديثة وأن يحدث تلك الثورة فى شتي مناحي العلوم المادية...إذن فلنحرر العقل ولنطلق عنان الفكر...ولنعتمد على ذوي العقول الناضجة والخبرات الواسعة في توجيه نشاط الشباب وحيويته، أما الغوغائية والتضليل والادعاء الكاذب والمبالغة في الدعاوى فهي من أخطر الأمراض التي منيت بها أمتنا.

من ذلك ندرك أنه إذا كان العلم قضية مهمة فى إعداد الشخصية الإنسانية فإن الأهم من العلم هو منهج التفكير، لأنه إن صح أدى إلى العلم الحقيقي والفهم، السليم وهذا ما فطن إليه الرعيل الأول من المسلمين عندما إستجابوا لنداء القرآن عندما دعاهم للتفكير فكانوا أهل علم وثقافة ونظام وأهل مناهج للتفكير والتعليم،. وذلك منذ أن بعث النبيﷺ وأشرق نور الإسلام على أفاق الدنيا،والعقل البشرى أسير التقليد فحرره من إساره وأطلقه من عقاله، ومنحه مركزاً ممتازاً، وجعله حكماً فاصلا، ونصبه قاضياً عادلا، يزن الأمور بميزان الحق ويصدر فيها حكمه السليم.

ومن هنا فقد كانت رسالة الإسلام فاتحة لعهد جديد للإنسانية حيث كان اهتمامها بالعلم كبيراً فقد جاءت آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية المطهرة تبين فضل العلم وتوضح ثمرة الطيبة على الإنسان فى الدنيا والآخرة، ويتضح هذا من خلال حديثنا عن العلاقة بين الوحي والعقل لما لهذا الموضوع من أهمية فى تقدم الأمة، لاعتبار أن تجديد الفكر الإنساني من أهم العوامل التى تقاس بها حضارة الأمم وتقدم الشعوب، كما أن له أثر واضح فى إصلاح الوضع المتردي التى تمر به أمتنا فنقول.

## العلاقة بين الوحي والعقل

لقد منح الله سبحانه وتعالى الإنسان هداية العقل، إلى جانب هداية الدين والإرشاد الإلهي، والإلهام الفطري، ذلك أ ن العقل هو القوة التي أودعها الله سبحانه وتعالى فى الإنسان وميزه بها من بين سائر المخلوقات، وأوكل إليه مهمة التحليل والتراكيب والاستنباط، وهو مصدر الحكم ومناط التكليف فى الإنسان، وبه تصحح أخطاء الحواس، وتدرك حقائق الأشياء فى الحسيات والمعنويات على السواء، فجوهر الإنسان هو العقل المدبر للحياة الإنسانية.

إلا أن العقل ليس بمعصوم، بل إنه قد يخطئ في إدراكه، لان العقل حاسة من الحواس كالسمع والبصر، ويستمد علمه من الحواس مما يسمع أو يرى أو يحس، وهذه قاصرة في إدراكها، فقد تخطيء الحواس، وقد يهمل الإنسان استخدام حواسه وعقله فيما فيه سعادته، ويسلك مسالك الضلال، ويرد موارد الهالكة، فاحتاجوا إلى هداية تخرجهم من ظلمات أهوائهم، إذا هي غلبت على عقولهم، وتبين لهم حدود أعمالهم ليقفوا عندها، ويكفوا أيديهم عما وراءها، وكذلك لا يستطيع الإنسان بوسائل الهداية الأخرى أن يحقق لنفسه ما فيه سعادته في تلك الحياة، لذا كان في أشد الحاجة إلى هداية الدين التي منحه الله إياها على ألسنة الرسل عليهم السلام"[1]

ذلك أن للعقل مجاله وحدوده فلو تجاوز العقل حدوده أو خرج عن مجاله لبدد كل طاقته فيما لا طائل من ورائه فلا سبيل للعقل البشري لمعرفة ما وراء الطبيعة أو ما وراء عالم الماديات ومن ثم فقد أطلق الإسلام العنان للعقل في عالم الماديات التي للعقل فيها مجال يجتهد فيها، ويبحث ويتأمل فيما خلق الله تعالى مما يدخل في حدود العقل، أما ما وراء الطبيعة وما وراء عالم الماديات فهذا مما ليس للعقل فيه مجال لأنه فوق طاقة العقل البشري.

وعلي هذا الأساس فما يأتي به الوحي ليس ضد العقل ولكنه فوق العقل، " وهناك فرق عظيم بين ما هو ضد العقل وما هو فوقه، فما هو ضد العقل يلغيه وما هو فوقه يطلق له المدى ويوقفه حيث ينبغي له أن يقف" "٢"

وفي المجال "يميز الشاطبي بين مجالين في الحياة الإنسانية : مجال دنيوي خالص كالصنائع والحرف والعلوم وكل الأعمال التي تعد أسبابا للرزق ومجال يتصل بالدنيا والدين وحده أما مجال الأول فإنه متروك لاجتهادات العقول ومقيد فقط بأن يكون محققا للمصلحة مجتنبا للمفسدة أما المجال الثاني فإنه يجب أن يقدم فيه الشرع على العقل ولا يحكم العقل فيما يتصل بالدين عقيدة وشريعة إلا فيما يتعارض مع النقل"[3].

وقد بات واضحا أن عالم الغيب من اختصاص الوحي وأن عالم الشهادة من اختصاص العقل وأن العقل لا يقوى

---

١ ) انظر التفكير فريضة إسلامية .أ/ عباس محمود العقاد/ ٨٢

٢ ) انظر التفكير فريضة إسلامية .أ/ عباس محمود العقاد/ ٨٢

٣ الشاطبي ومقاصد الشريعة د. حمادي العبيدي ص٢٢٤.



على معرفة الغيب فهذا (العقل الذي يخطط في الحياة من أجل الحياة الإنسانية هذا الذي تغمر الوجود عطاياه هذا العقل الذي أمر الحياة بالحركة والنشاط المذهل هل ينفذ نوره إلى كشف أسرار الحياة وطلاسم الوجود كيف يفسر لنا العقل في مجال ما يشاهده رفع السماء بغير عمد كيف يفسر لنا نظام المجموعة الشمسية التي تطل عليه فيرفع إليها طرفه فيرتد خاسئا وهو حسير كيف يفسر لنا أسرار الحياة في المادة التي ماتت ثم يخرج منها الحياة مرة أخرى قوية في أعجاب هذا فيما يشاهده إما ما لم يشاهده فإن العقل أعجز من المشلول الذي لا يستطيع أن يتحرك ، إن العقل إذا لم يعترف بهذه إلا رادة الصدعة عجز تماما عن التعليل والتفسير أو تخبط الفلاسفة في شتى العصور[1].

فلا شك فيه أن العقل قد أنتج ثمارا يانعة في الطبيعيات والرياضيات ! لقد أقام القواعد المحكمة ونظم المبادئ المتقنة، وانتهي به الأمر إلي أن شيد الطبيعيات والرياضيات على أسس متينة، كان الأمر كذلك في هذين الميدانين لأن العقل يعمل في دائرة اختصاصه، ودائرة اختصاصه إنما هي الماديات والمحسوسات، أما ما يتمثل فيهما حينما يوجد خارج الذهن كالرياضات

وقد غرّ هذا النجاح قوما فاعتقدوا أن في استطاعه العقل أن يجول في كل ميدان، في استطاعته أن يجول في الطبيعة وما وراء الطبيعة في العالم وفي ما وراء العالم في الماديات وفي المجردات، في عالم الشهادة وفي عالم الغيب، وكانت النتيجة أن أقحموا العقل في عالم ما وراء الطبيعة فكانت الفلسفة الآلهة العقلية، وكان الإخفاق التام للعقل في هذا الميدان، وهذه الفلسفة العقلية التي تبحث في الغيب إنما هي انحراف عن الطريق المستقيم)[2]

ومن هنا لم يترل الوحي لكي يقيد العقل، أو يضعفه ويُهمِّشه على الانطلاق، كما هو ظن البعض". فالعقل والوحي ليس بينهما تناقض أو تعارض حتى يكون الواحد منهما نفيا للأخر، وليست العلاقة بينهما علاقة الخاص بالعام حتى يقيد أحدهما الأخر[3]

---

١) خصائص التصور الإسلامي ومقوماته – سيد قطب ص١١٢.

٢ ) انظر التوحيد الخالص للإمام الأكبر د/ عبد الحليم محمود / ٩٠ ط دار الكتب الحديثة

(٣) أ نظر التفكير فريضة إسلامية / ٥٥ بتصرف ( ٢) تفسير المنار للشيخ رشيد رضا ٥٤/١ ط الهيئة المصرية وبحث د/ أحمد محمد الطيب ضمن بحوث في الثقافة الإسلامية / ٢٣١ دار الحكمة

بل العلاقة بينهما الايجابية والتكامل فالوحي يكمل العقل، والعقل يصدق الوحي، لأن كلا منهما يهدى إلى الحق، فالعقل يبحث عن الحق، والوحي هو الذى يهدى إلى الحق، إذا اختلطت أمام العقل رؤى الحق والباطل، والصواب والخطأ والحق واحد لا تناقض فيه ولا تضاد، ومن ثم لا يمكن للعقل السليم أن يخالف نصا صحيحا أو يناقضه.

وعلى ذلك فإن "الوحي هو المصدر الإلهي الذى يمد الإنسان والمعرفة الإنسانية بحاجتها من علم بشؤون الغيب وعلاقاته وغاياته الكلية وعلاقة الإنسان بهذه الكليات والغايات والعقل هو أداة الإنسان للعلم والمعرفة والأداة فى هذه الأرض وهو عالم الشهادة وذلك تحقيقا لمهمة الخلافة وغاياتها في إقامة غايات الحق والعدل والإحسان.والوحي والعقل بهذا المفهوم يتكاملان لتحديد موقع الإنسان في عالم الشهادة وتمكين وجوده وسعيه من تحقيق الغاية منهما في عالم الشهادة"[1].

ومن هنا فإنه "إذا كان الإسلام منهجا إلهيا وضعه رب الناس للناس.فليس معنى هذا هو إلغاء دور الإنسان أمام هذا المنهج، وتنحيته من طريقه، والحكم عليه بالسلبية المطلقة تجاهه، فليس له إلا التلقي والتنفيذ والتسليم دون أن يقول لم؟وكيف؟ إذ لا تكافؤ بين الوحي الإلهي والعقل الإنساني، فإذا قال:الوحي كلمته فليس على العقل إلا الإذعان والتسليم .وهذا في الواقع غير سليم، فإن القدر الإلهي لم يلغي دور العقل الإنساني، وفاعليته في الكون، مع وجود يد الله تعالى فيه، ومع انعدام التكافؤ بين الإرادة الإلهية، والإرادة الإنسانية، أو بين قدرة الخالق وبين قدرة المخلوق، وكذلك لا يلغي الوحي الإلهي دور العقل الإنساني، وإيجابيته في فهم الوحي، والاستنباط منه والقياس عليه، وملء ما سكت عنه من فراغات تشريعية، إن وجود النص الإلهي المقدس ليس عائقا للعقل عن التحليق والإبداع، والابتكار، فقد ترك الوحي للعقل مجالات عديدة يثبت فيها ذاته، ويبرز قدراته منها[2]

١- ترك للعقل في مجال العقيدة أن يهتدي إلى أعظم حقيقتين في هذا الوجود:

**الحقيقة الأولى**: وجود الله ووحدانيته فوجود الله كما تهدي إليه

١ أزمة العقل المسلم ص١١٣.

٢) الخصائص العامة للإسلام / د. يوسف القرضاوي ٦١،



الفطرة السليمة يقتضيه كذلك النظر الصحيح، والعقل الصريح، ولاغرو إذا أقام القرآن الأدلة من الكون ومن النفس على وجود الله سبحانه وتعالى ويتبع ذلك الأدلة العقلية التي ذكرها القرآن على وحدانية الله تعالى

**الحقيقة الثانية**: ثبوت الوحي والنبوة والرسالة . فالعقل هو الذي يثبت إمكان ذلك ووقوعه بالفعل، وإن هذا الشخص المعين رسول من الله . فالعقل هو الحكم الأول والأخير في هذه القضية، ولا مدخل هنا للاستدلال بالنقل ونصوص الوحي، إذ كيف يستدل بما لم يثبت بعد ؟ ولهذا قال علماء الإسلام: إن العقل أساس النقل، والعقل هو الذي يميز بين الآيات المعجزة الحقيقية، التي لا تظهر إلا على أيدي رسل الله حقا وبين مظاهر الخفة والشعوذة التي تظهر على أيدي السحرة والدجالين . والعقل هو الذي يعرف وجه دلالة المعجزة الخارقة على صدق من أظهرها الله على يديه، وأنها تصديق من الله له في دعواه،

والعقل ينظر في سيرة كل شخص يدعي الرسالة، ويتأمل في صفاته ليعرف منها، هل هو أهل لاصطفاء الله، أم ليس كذلك فيرفضه ويعرض عنه، ومن أجل ذلك احتكم القرآن في إثبات صدق رسالة محمد (صلى الله عليه وسلم )، إلى العقول المفكرة وحدها، فقال في صرامة ووضوح ( قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد ٠) سبأ/٤٦ ومن هنا لم يثبت الإسلام عقيدة إلا احتكم فيها للعقل، واستشهد فيها بالعلم، وحث على البحث والنظر والفكر والتأمل.

٢- وترك الوحي للعقل في مجال التشريع أن يجول ويصول في فهم النصوص، فيفرغ على الأصول، ويقيس على الفروع، ويستنبط الأحكام، ويكيف الوقائع، ويرى القواعد في جلب المصالح، ودرء المفاسد ورفع الحرج وتحقيق اليسر، وتقدير الضرورات بقدرها، واعتبار العرف، ورعاية ظروف الزمان والمكان

٣- وترك للعقل في ميدان الأخلاق أن يصدر حكمه، وفتواه في كثير من الأعمال، التي يلتبس فيها الخير بالشر، ويشتبه الحلال بالحرام، ولم يغفل شأنه بجانب الوحي كمصدر للإلزام الأدبي، ومقياس للحكم الخلقي.

٤- ترك الوحي للعقل بعد ذلك أن يجول في آفاق هذا الكون العريض ما شاء، صاعدا إلى الأفلاك، وهابطا إلى الأرض، ومتأملا في النفس: ﴿ قُلِ

انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴿يونس. ١٠١ "

٥ – ترك له أن يبتكر، ويخترع في وسائل الحياة، وأمور الدنيا ما شاء، مادام ملتزما حدود الحق والعدل: ( ولا تنس نصيبك من الدنيا) القصص:٧٧

٦– ترك للعقل أن يستفيد من تجارب الآخرين، وينتفع بتراث السابقين، ومعرفة اللاحقين:( فاعتبروا يا أولي الأبصار) الحشر:٢" فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها، فإنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

ومن ثم فإن الوحي جاء لتكامل العقل، والعقل تكامل بالوحي، وبعبارة أخرى إن في الإسلام تكامل العقل، ولهذا ختمت النبوة بالإسلام، لان ما يحتاجه العقل من صغيرة أو كبيرة عامة أو خاصة مجهولة أو معلومة، حاضرة أم غائبة، في هذا الجانب أو ذاك...فهي في الشرع، ولهذا فإن البشرية بعد الإسلام وصلت إلى مرحلة من التقدم والتطور وما زالت في سعيها وركبها، وفي أعلى قمة من التطور ستكتشف هذه الحضارة الإسلام ، هذه بداية التاريخ وهذه نهايته، لا كما قال (فرنسيس فوكوياما) في نظريه نهاية التاريخ في الفلسفة والفكر والأيد ولوجيا بانتصار الديمقراطية الليبرالية في الغرب بعد سقوط الماركسية والاشتراكية العلمية في الاتحاد السوفيتي وأوربا الشرقية في العالم".[1]

نخلص مما سبق إلي أن الناس محتاجون إلي هداية الوحي أكثر من احتياجهم إلي الطعام والشراب ذلك أن "الإنسان مضطر إلي الشرع، فإنه بين حركتين، حركة يجلب بها ما ينفعه، وحركة يدفع بها ما يضره، والشرع هو النور الذي يبين ما ينفعه وما يضره، والشرع نور الله في أرضه وعدله بين عباده، وحصنه الذي من دخله كان آمنا)[2]

ومن هنا لا يمكن للعقل السليم أن يخالف ما جاء به الشرع الحكيم، والشرع ثابت في نفسه لا يحتاج في إثباته إلى عقول البشر. بل العقول هي التي تحتاج إلى أن تعلمه، فإن العقل إذا علم ما هو عليه الشرع في نفسه صار عالما به، وبما تضمنه من الأمور التي يحتاج إليها في دنياه وآخرته، وانتفع به، وبما تضمنه من الأمور التي يحتاج إليها في دنياه وآخرته، وانتفع بعلمه به، وأعطاه ذلك صفة لم تكن له قبل ذلك، ولو لم يعلمه لكان جاهلا ناقصا"[3]

---

١ ) الإيمان والحياة أ .د / يوسف القرضاوي ١٧٣

٢ ) مجموع الفتاوي ٩٩/١٩

٣) درء تعارض العقل والنقل ٨٨/١ :٨٩



## المبحث الثالث

## وسائل الإسلام في تحرير العقل الإنساني:

لقد حرص الإسلام حرصا شديدا على تحرير العقل الإنساني من كل ما من شأنه أن يشكل عائقا يحول بين العقل وبين أداء وظائفه وممارسة نشاطاته، أو تعطيله أو تحديد نشاط تفكيره، بل بث روح التطور والتحرر من أغلال الجمود والتقليد وذلك بإزالة جميع العوائق التي تعوق العقل عن الوصول إلى التفكير السليم والفهم الصحيح وذلك من خلال تحقيق عدة وسائل نذكرها فيما يلي.

### أولا: رفض التبعية الفكرية والتقليد الأعمى:

لقد حرر الإسلام العقل الإنساني من سلطان الخرافة والوهم، وبث فيه روح التطور والتحرر من الجمود والتقليد، ومن وسائله فى ذلك ترسيخ الحقائق فى العقول ودحض أسباب الانحراف والضلال فى جل الإنسانية، ولم يسمح له بالانطلاق وراء الوهم والخيال، بل أطلق العقل من عقاله، "من رواسب الوثنية الإغريقية، وأغلال العبودية عند الرومان والفرس، ولم يكن المسلمون مجرد قنطرة عبرت عليها تلك الحضارات القديمة إلى عصر العلم، بل نقلوا ذالك التراث

وفي ضوء ما أسلفنا من مكانة العقل في الإسلام، وما أوضحنا من علاقة الوحي بالعقل، وأن العلاقة بينهما الايجابية والتكامل، لأن كلا منهما يهدى إلى الحق، ودور الوحي في إيقاظ وتهيئة عقل الإنسان وفكره وتصوراته عن الكون والحياة والإنسان وتربيته على التفكير العلمي السليم والدقة في الفهم والاستنتاج، وأن الدين لم يكن أبد ضد إعمال العقل بل العكس كان موقظا ومحفزا للعقل باتجاه التحقق . ومن ثم فإن الصراع بين العلم والدين صراع لا أساس له،ذلك" إن العلم ينتهي حيث يبدأ الدين ، وآخر نقطة يترقى إليها العلم تشكل بداية حدود الدين، فالعلم مرتبط ارتباطاً وثيقاً عن طريق بحوثه وكشوفه بأمور الطبيعة الواقعية ومشاهدتها وتجاربها ، أما الدين فإن قوامه هو ما فوق الطبيعة وهي وراء التجربة والمشاهدة ، مثل : الله ، الروح ، والبعث بعد الموت ، والحشر وأمثاله .[1]

---

١ )الدين والعلوم العقلية عبد الباري الندوي ص ٢٠ و٢١ ط دار ابن حزم

مشروحا ومعلقا عليه بما يجنبه العثرات ويصحح أخطاءه، بل أضافوا إليه الكثير من ابتكاراتهم فى شتى المجالات، وعلى الأخص علوم الرياضة والفلك، والفلسفة التى طوروها داخل إطار الفكر الإسلامي"[1]"

ذلكم أن القرآن الكريم يدعو الإنسان بطريقة مباشرة إلى إعمال عقله ويوجب عليه النظر بالعقل فى المخلوقات والاعتبار بها، وذلك لأن الله تعالى لم يجعل على الإنسان سلطاناً إلا سلطان عقله السليم وفهمه الصحيح وتفكيره الذى يميز به الحق من الباطل، والخير من الشر، والهدى من الضلال، وهو لا يتأتى لمن يعطلون عقولهم عما خلقت من أجله، ومن ثم كان مصير الذين يلغون عقولهم أن وصفهم الحق تبارك وتعالى بقوله:{إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) الأنفال الآية ٢٢ وفى موضع أخر يقول الله تعالى:{ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون }أما الذين يجحدون نعمة العقل ولا يستعملونه فيما خلق له ويغفلون عن آيات الله، فهم موضع الازدراء والتحقير، وقد ذم الله تعالى الذين لا يتفكرون ولا ينظرون. فقال تعالى ﴿وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ {١٠٥}﴾.يوسف/١٠٥]

ذلك أن تعطيل العقل عن وظيفته يهبط بالإنسان إلى مستوى أقل من مستوى الحيوان، وهو الذى حال بين الأقدمين وبين النفاذ إلى الحقائق فى لأفاق وفى الأنفس.لقد نعى الله سبحانه على كل من لا يستخدم عقله فى الوصول إلى الحقيقة ونزل بهم إلى الدرك الأسفل فألحقهم بالأنعام بل جعلهم أضل سبيلا، لأن الأنعام ليست لها عقول، ولكن هؤلاء لهم عقول خرجت بهم عن طريق الهدى وأضلتهم عن سواء السبيل... وتوعدهم الله بالعذاب وشديد العقاب حيث يقول الله تعالى ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ {١٧٩}﴾الأعراف/١٧٩].

ونعى - كذلك -على أولئك المقلدين الذين لا يقدرون نعمة العقل فلا يفكرون فيما ينفعهم ويدفع الضر عنهم

[1] الإسلام وقوانين الوجود / د.محمد جمال الفندى / ١٧ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢ م
و لمحات في الثقافة الإسلامية / عمر عودة الخطيب /٢١٤ ط مؤ سسة الرسالة



بل ينساقون وراء الفساد لأنهم ورثوه عن الآباء والأجداد،

بل إن القران الكريم نعى على الذين يعطلون عقولهم عن أداء الوظيفة التي خلق الله تعالى العقل من أجلها فقال تعالى:(وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون).

ومن هنا يقول الإمام الشيخ محمد عبده:" إن التقليد بغير عقل ولا هداية شأن الكافرين، وإن المرء لا يكون مؤمنا إلا إذا عقل دينه وعرفه بنفسه حتى اقتنع به، فمن رُبى على التسليم بغير عقل، وعلى العمل- ولو صالحا- بغير فقه غيرُ مؤمن. فليس القصد من الإيمان أن يذلل الإنسان للخير كما يذلل الحيوان بل القصد أن يرتقى عقله وترتقي نفسه بالعلم، فيعمل للخير وهو يفقه أنه الخير النافع المرضى لله، ويترك الشر وهو يفهم سوء عاقبة ودرجة مضرته" [1]". فالإسلام ينبذ التقليد ويلوم الإنسان الذي يقلد بدون التفكير فيما هو حق وما هو باطل، ذلك أن التقليد حجاب العقول"و القرآن الكريم ينهى عن تقليد الإنسان لغيره في الباطل ولا يتبع ما ليس له به علم صحيح، حتى ولو كان من تقلّدهُم الآباء والأجداد قال تعالى: ﴿ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً {٣٦}﴾ "الإسراء / ٣٦" فالتقليد لا ينتج معرفة وإنما ينتج التخلف لأنه هو المانع للعقل من الانطلاق، والمعّوق له عن التفكير، ومن ثم يثنى الله تعالى على الذين يخلصون للحقائق ويميزون بين الأشياء بعد البحث، والتمحيص، فيأخذون الأحسن ويدعون غيره" يقول عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ {١٧} الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللّهُ وَأُوْلَـئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ {١٨}﴾ الزمر/١٧-١٨].

هكذا دعا القران الكريم إلى استعمال العقل الذي ميز الله تعالى به الإنسان من سائر المخلوقات، ونعى على الذين يلغون عقولهم، وذلك لأنه بالعقل والتفكير يصل الإنسان إلى الفهم الصحيح والفكر المستنير، وذلك بالملاحظة والتفكير، لما يشاهده الإنسان حتى يصل عن طريق ذلك إلى ما لم يكن يعرفه فيدرك بذلك ويفهم حقائق الأشياء

[1] ) نقلا عن حقوق الإنسان بين تعاليم السماء وإعلان الأمم المتحدة للشيخ محمد الغزالي ٧٨/ ٧٩ ط نهضة مصر

التي تكشف له طريق الخير وطريق الشر في الحياة الدنيا والآخرة، فالعلم السليم والتفكير الصحيح يهدى دائما إلى الحكمة في الأقوال والأفعال، فيتخلص من التقليد والتبعية للآخرين واحترام ذاته المفكرة "[1] "

**ثانيا: القضاء على الأساطير والأوهام والاعتقاد في الخرافات:**

لقد حرر الإسلام الفكر الإنساني من الأساطير والخرافات والأوهام ومن كل عوامل القهر والخوف والتسلط والجبروت، فلا شك أن أعظم ما يستذل أعناق الرجال، ويقهر إرادة الإنسان: الخوف على الحياة، والخوف على الرزق — وهما الأمران اللذان رُبطا في العقيدة الإسلامية — ومن خلال أسماء الله الحسنى لمشيئة الله المطلقة من دون خلاف ولا نزاع، فلا قهر إذا، ولا عبودية، ولا قبول بالذل والطغيان، ولكنها الحرية الحقيقة بأروع صورها وأعمق معانيها، وليست قصة سَحَرة فرعون عنا ببعيد، فقد حدثنا القرآن عن هذه القصة وعن دروسها وعبرها ومعانيها في عدة مواضع، فيوم آمن هؤلاء السحرة برب هارون وموسى، الذي أظهر المعجزة وأبطل السحر — عرفوا طريقهم إلى الحرية والخلاص من ذل العبودية، وحين توعدهم فرعون بأبشع صور الانتقام والقتل واجهوه بقولهم: ﴿ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا {٧٢} إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى {٧٣}﴾طه /٧٢: ٧٣

وهكذا تكون الحياة جديرة بأن تعاش في نظر الإسلام: تكليف عقيدة لا عبث أهواء، وإدراك عقل لا تسلط غرائز، وعمق إيمان لا رياء مظاهر وشقاق كدح لا أحلام إسترفاء"[2]

إن الإسلام يغرس فى عقل الإنسان أن النافع والضار والمحيى والمميت هو الله تعالى، وبذلك يمنع الإسلام كل ما فيه استعانة ولجوء إلى غير الله تعالى، لدرجة أن هذه الاستعانة تعتبر شركا بالله تعالى، ونتيجة لذلك حرم الإسلام كل مظاهر الاستعانة بغير الله كالكهنة أو التمائم أو تصديق الكاهن، وما أشبهها، وقد اعتبر

[1] ) انظر محاضرات في المنطق القديم / تأليف الباحث /٦/٥

[2] ) دروس في العقيدة الإسلامية /اليزدى محمد تقي مصباح /٤٥



النبي ﷺ أن تصديق الكاهن كفر بواح فقال: " من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد " إذ ليست هناك خرافة أقذر من أن يعتقد الإنسان أن النفع والضرر يأتي من إنسان أو شجر أو أن حجر أو خرزة زرقاء ونحو ذلك"[1]"

**ثالثا: تقرير المسئولية الفردية**

لقد حمل الإسلام الإنسان مسئولية أفعاله الاختيارية التي التزم بها أو قررها أو اختارها سواء أكانت هذه الأفعال إيجابية أم سلبية، وهو فى هذا مسئول أمام الله أولا ثم أمام ضميره والمجتمع الذي يعيش فيه ثانيا.

ومن ثم فقد ركز الإسلام على المسئولية الفردية بمعنى سؤال الإنسان ومحاسبته عما يفعل من الأفعال الإرادية التي يختارها بكامل حريته ولا يتحمل الإنسان مسئولية عمل غير، فكل إنسان مسئول عن أعماله مسئولية كاملة وآيات القرآن الكريم تؤكد هذه المسئولية فيقول الله تعالى ﴿ومن يكسب إثماً فإنما يكسبه على نفسه﴾ النساء الآية ١١١ ولقوله تعالى ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ الأنعام الآية ١٦٤ وقال تعالى ﴿من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد﴾، كذلك جعل الإسلام الإنسان مسئولاً عن سمعه وبصره وفؤاده وجميع جوارحه فلا يجوز أن يستعملها إلا في الخير فقال تعالى: ﴿إن السمع والبصر والفؤاد أولئك كان عنه مسئولا﴾.

فكما كرم الله تعالى الإنسان وفضله على الكائنات "أن جعل للإنسان الحرية والإرادة والقدرة على التميز بين الخير والشر، وكذلك جعله مجزياً يوم القيامة بما اختار من خير وشر، وهذا الشعور بالمسئولية يربى في نفس الإنسان الوعي واليقظة الدائمة والبعد عن المزالق، وعدم الاستسلام للأهواء، والعدالة والبعد عن الظلم والبغي والعدوان، والاستقامة في كل سلوك الإنسان وشئونه"[2]".

ومن هنا فقد اعتنى الإسلام عناية كبيرة بتحرير الإنسان وجعله هدفاً أساسياً من أهدافه التي يسعى إليها، فحمل الإنسان مسئولية أفعاله وربط الإسلام بين القيم الأخلاقية والمسئولية برباط وثيق يثير في نفوس المؤمنين شدة الخوف من أي خروج على أحكام الفضيلة والأخلاق، كما أمر بها الله، ويدفع في الوقت نفسه عن المجتمع

(١) انظر معالم الثقافة الإسلامية د /عبد الكريم عثمان/ ٨٢

(٢) أصول التربية الإسلامية عبد الرحمن النحلاوى ٣٨.

الشرور التي قد تحدث نتيجة هذا الخروج" [١]".

فعندما دعا القرآن الإنسان إلى التحلي بمكارم الأخلاق ذكّر الإنسان بأن الله سبحانه وتعالى سيحاسب الإنسان وحده عما يصدر عنه من أعمال، كما في قوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ {٩٢} عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ {٩٣}﴾"الحجر الآية ٩٣"

كما ربط الفعل المنهيّ عنه برادع ديني يتمثل في التحذير بتوقيع العقوبة الأخروية على مرتكبه.. والتصرفات التي من هذا القبيل هي الرذائل التي لا يمكن ضبطها بمظاهر محددة كالغيبة والنميمة والحسد والحقد والكذب وغير ذلك مما يتصل بالجانب الخلقي أكثر من اتصاله بالجانب العملي، أو تكون متصلة كثيراً بالجانب العملي ولكن لم يأخذ الصورة القصوى من صور السلوك الإجرامي، فمثل هذه التصرفات تقتصر فيها الشرعية على التحذير بالعقوبة الأخروية، ويكون الضمير الإنساني هو المنوط وحده بتحديد مسئولية هذه الآثام في الحياة الدنيا كما أن عليه وحده تقع مهمة محاسبة النفس والرجوع إلى الحق.. لأن الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل.. وقد جاءت التوبة والاستغفار والندم وسيلةً لتطهير النفس من الإثم في قوله تعالى ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾ [٢]".

وقد أسهب علماء السلف في تفصيل منهج الإسلام في محاسبة النفس ومراقبتها وفق ما جاء في الكتاب والسنة وأشاروا في ذلك إلى أن مناط الأمر في الاستقامة وصلاحية النفس متعلق بشعور الإنسان بخطر حسابه عند ربه في الآخرة ويقول الإمام ابن قدامة في ذلك: "وتحقق أرباب البصائر أنهم لا ينجيهم من هذه الأخطار إلا لزوم المحاسبة لأنفسهم وصدق المراقبة، فمن حاسب نفسه في الدنيا خف في القيامة حسابه، وحسن منقلبه، ومن أهمل المحاسبة دامت حسرته[٣].

---

(١) حقوق الإنسان في الإسلام د. عبد الواحد الفار ١٣١ ، ١٣٢.

٢ انظر حقوق الإنسان في الإسلام د. عبد الواحد الفار ١٣١ ، ١٣٢.

٣ المصدر السابق، وانظر مختصر مناهج القاصد للإمام أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة والذي اختصر فيه كتاب مناهج القاصدين لابن الجوزيه ٣٨٩.



فثمة حقيقة إيمانية يمنحها الدين في وعي الإنسان ويغرسها في أغوار وجدانه وهي الإحساس بالمسئولية الأخلاقية والاندفاع الذاتي نحوها متأثراً بإيمانه بالله تعالى وارتباطه به فالإنسان المؤمن يشعر بمراقبة الله ومخافته وهو في كل حركاته وسكناته في تصرفاته وسلوكه يعلم أن الله معه يراه ويعلم به ويراقبه ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ {٣} ﴾سبأ الآية /٣﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ﴾ [١]

أما فيما يتعلق بالمسئولية عن سلوك الغير أو المسئولية الاجتماعية فإننا نجد أن الإسلام يؤكد أن الإنسان مسئول عن نفسه وعن غيره وما فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا ترجمة للمسئولية الاجتماعية، وقد بين لنا الرسول ﷺ هذه المسئولية أبدع بيان حين قال :"مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة ،فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم قالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وأن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا".

## والمسئولية في الإسلام قسمان:

الأول: مسئولية فردية بمعنى سؤال الإنسان ومحاسبته عما يفعل من الأفعال الإرداية فكل إنسان مسئول عن أعماله مسئولية كاملة، فلا توجد في الإسلام خطيئة موروثة، وآيات القرآن في هذا المعنى في غاية الوضوح.

الثاني: المسئولية الجماعية تعنى مسئولية الإنسان عن المجتمع الذي يعيش فيه، قال تعالى﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ ، وقال رسول الله ﷺ "إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذو على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه".و المسئولية الفردية لها مجالات: مجال باطني وآخر ظاهري، والأول هو مسئولية الإرادة والتصميم والقصد، إذ ليس من الضروري أن يخرج الفعل إلى خير الوجود ليكون الإنسان مسئولاً عنه لقوله سبحانه: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللّهُ ﴾البقرة الآية ٢٨٤ فإن ترك الفعل يعد فعلا أيضاً، ولكن لا يدخل في هذا حديث النفس وما

ينطوي عليه من خطوات الخير ووساوس الشر

وأما المجال الثاني للمسئولية: فهو السلوك المحسوس كلاما كان أو فعلاً، لكنه يلزم أن يكون ناشئاً عن قصد واختيار لقول الرسول ﷺ "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى". فلا يدخل في ذلك السلوك الناتج عن إكراه أو اضطرار أو خطأ أو نسيان كما لا يدخل فيه أيضاً سلوك النائم والصبي والمجنون حيث لا مسئولية عليهم، أما فيما يتعلق بالمسئولية عن سلوك الغير أو المسئولية الاجتماعية فإننا نجد أن الإسلام يؤكد أن الإنسان مسئول عن نفسه وعن غيره وما فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا ترجمة للمسئولية الاجتماعية.

وهذه المسئولية أيا كانت ليست مقصورة على المسئولية في هذه الحياة الدنيا وكفى من حيث الجزاء والمكافأة بل إن المسئولية الأصلية هي المسئولية في الحياة الأخرى التي يجازى بها الإنسان على ما قدم بصورة عادلة ليس لها مثيل في حياتنا الدنيا"[1].

إن أساس المسئولية هو أن يكون الفرد أهلاً للاضطلاع بمسئولياته وأن يتحملها ملتزماً بها، وهذا يعنى أن الفرد لا بد أن يكون فاهماً لطبيعة ذاته، بصيراً بسلوكه وأهدافه، مقدراً لنتيجة تصرفاته، يعرف نفعها وضرها على النفس والغير في العاجل والآجل، كما يعنى هذا أيضاً أن يكون للفرد حرية الإرادة والاختيار والتصرف فيما يختاره، وأن يكون قادراً على القيام بمسئوليته وأفعاله.

وخلاصة القول أن الإسلام يؤكد على المسئولية الفردية و سؤال الإنسان ومحاسبته عن أفعاله الإرادية التي يختارها بكامل حريته، فهو مسئول ومحاسب عنها في الدنيا لتقدير الجزاء ومحاسب عنها في الآخرة، وقد ذكر القرآن الكريم المسئولية الآجلة المطلقة للإنسان كما في قوله تعالى:﴿ولا تكسب كل نفس إلا عليها﴾ كما أكد القرآن أن الإنسان لا يتحمل مسئولية غيره كما سبق أن ذكرنا.

**رابعا: تحرير الإنسان من الخوف:**

لقد حرر الإسلام الفكر الإنساني من سيطرة الغير والخوف منه، لأن هذا الكون لا يحدث فيه أمر صغير ولا كبير إلا بأذن الله تعالي وإرادته، قال تعالى: ﴿وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ

[1] الأخلاق في الإسلام بين النظرية والتطبيق د. محفوظ على عزام / ٣٦. ط دار الشعب



وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِّنَ الظَّالِمِينَ {١٠٦} وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ {١٠٧}{ يونس ١٠٦، ١٠٧ } وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُوراً {٣}﴾الفرقان:٣

وإذا تحررت النفس من الخوف من الغير فإنما تتحرر من الذل والعبودية والخضوع لغير الله.، إن الإنسان قد يذل لغيره خوفا على حياته أو رزقه أو جلبا للمنفعة أو دفعا للمضرة، وقد بين القران أن المنفعة والمضرة بيد الله، كما أن الحياة والموت والرزق بأمره قال تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾{النساء ٧٨}وقال سبحانه: (وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا )}ال عمران ١٤٥} (قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ) ال عمران:١٥٤" والرزق كالموت والحياة بيد الله لا يجوز أن يخاف الإنسان عليه من أحد سواه(الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له )العنكبوت /٦٢.(وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها )هود/٦

**خامسا: أمر القرآن العقل الإنساني بالبحث في ظواهر الطبيعة ونواميس الكون:**

ثم بعد ذلك ينتقل الإسلام بالعقل إلي المجال الرحب الواسع للنظر والتفكير فنجد أن القرآن يلفت نظر الإنسان إلي البحث والنظر والتعمق في فهم ظواهر الطبيعة، وذلك من خلال توجيه العقل إلي أن الكون كله يخضع لسنن سنها الله وفق أقدار قدرها وما كان اللهو والعبث باعثاً علي الخلق، قال تعالي ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ {٣٨} مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ {٣٩}﴾ [الدخان/٣٨و٣٩] وقل تعالي:(سنريهم آياتنا في الأفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) فصلت /٥٣

ففي هذه الآيات توجيه العقل إلي بعض القوانين العلمية التي أسس عليها الباري سبحانه هذا الكون والتي يتبين منها أن القرآن يربي عقل المسلم على مبدأين علميين هما:

١- تكرار حوادث الكون حسب سنن سنها الله له، وهو جل جلاله وحده يملك أن يغيرها إذا شاء، وهذا هو المبدأ

الذي به اكتشف الإنسان واخترع كل مظاهر الحضارة.

٢- أن سنن هذا الكون وجميع حوادثه وظواهره وكائناته: من أصغر ذرة إلى أكبر جرم قد خلقها الله وسيرها، أو أنزلها بقدر معلوم، لا يزيد ولا ينقص. ولا يتعدى شيء حدوده فيختل توازنه أو يخل بنظام غيره، مما جاوره أو قابله، أو تأثر به أو أثر فيه، ومن هذى المبادئ التي استوحاها علماء المسلمين من القرآن وارتقوا بها في العلوم الطبيعية، استقت أوربا مبادئ التفكير العلمي، ووحدة قوانين العلم الحديث ومناهج التفكير العلمي المنطقي، وهذا هو المبدأ الثاني من مبادئ المنطق العلمي "إقامة الملاحظة العلمية على أساس القياس الكمي لا على أساس الوصف الكيفي"إنه المبدأ الذي يربي العقل على الدقة ليأخذ كل شيء بمقياس".[1]

سادسا: توجيه نظر الإنسان إلى قوانين الاجتماع وسنة الله فيما سلف من الأمم وتأكد استمرارها، قال تعالي: ﴿ قَدْ خَلَتْ من قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ في الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ {١٣٧} هَـذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ {١٣٨}﴾ [ال عمران١٣٧ - ١٣٨]

يقول الإمام الرازي في تفسيره:أن "المراد من الآية: قد انتقضت من قبلكم سنن الله تعالى في الأمم السالفة، واختلفوا / في ذلك، فالأكثر ون من المفسرين على أن المراد سنن الهلاك والاستئصال بدليل قوله تعالى:( فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ) وذلك لأنهم خالفوا الأنبياء والرسل للحرص على الدنيا وطلب لذاتها، ثم انقرضوا ولم يبق من دنياهم أثر وبقي اللعن في الدنيا والعقاب في الآخرة عليهم، فرغب الله تعالى أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- في تأمل أحوال هؤلاء الماضين ليصير ذلك داعيا لهم إلى الإيمان بالله ورسله والإعراض عن الرياسة في الدنيا وطلب الجاه، وقال مجاهد: بل المراد سنن الله تعالى في الكافرين والمؤمنين؛ فإن الدنيا ما بقيت لا مع المؤمن ولا مع الكافر، ولكن المؤمن يبقى له بعد موته الثناء الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى، والكافر بقي عليه اللعنة في الدنيا والعقاب في العقبى، ثم إنه تعالى قال:( فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ) لأن التأمل في حال أحد القسمين يكفي في معرفة حال القسم الآخر، وأيضا يقال الغرض منه زجر الكفار عن كفرهم

[1] ) انظر أصول التربية الإسلامية / ٤١/ ٤٢٣



وذلك إنما يعرف بتأمل أحوال المكذبين والمعاندين، ونظير هذه الآية قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ {١٧١} إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ {١٧٢} وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ {١٧٣}﴾ الصفات: ١٧١- ١٧٣][1]

بهذا الأساس الفكري الجديد أطلق الإسلام" سلطان العقل من كل ما كان يقيده، وخلصه من كل تقليد كان استعبده، ورده إلى مملكته يقضى فيها بحكمه وحكمته مع الخضوع في ذلك لله وحده والوقوف عند شريعته ولا حد للعمل في منطقة حدودها ولا نهاية للنظر يمتد تحت بنودها، وبهذا تم للإنسان بمقتضى دينه آمران عظيمان طالما حرم منهما:

١ - استقلال الإرادة،

٢- واستقلال الرأي والفكر" [2]

أساس تحرير الفكر الإنساني

لاشك أن الإسلام بهذه الوسائل أحدث نهضة تحريرية شاملة للعقل الإنساني من كل ما كان يعطله، أو يعوق نشاط تفكيره، أو يقيد طاقته عن التجديد والابتكار والإبداع، وتحرير العقل يعنى التحرير الجذري والشامل للإنسان تمهيدا لتوحيد الله وعبادته، واعتقاد أنه لا معبود بحق إلا الله سبحانه وتعالى، وهذا هو أساس جوهر تحرير العقل الإنساني، فالتوحيد هو فلسفة تحرير الإنسان وتحرره من الجبت والطاغوت، ومن الشرك والكفر، ومن هوى النفس وضغوطها، ومن رهبة المجتمع وسلطته، ومن الانقياد بغير وعى للآباء والخضوع لهم من غير فكر ورويّة، وفى ذلك يقول القران الحكيم (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ﴿فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ {١٥٧}﴾الأعراف /١٥٧

نعم لقد حرر الإسلام الفكر الإنساني من "ربقة الجمود، وسما به عن الارتكاس فى حَمْأة التقليد، ولم يسمح له بالانطلاق وراء الوهم والخيال، وإنما رسم له الحدود، ووضع بين يديه المعالم على الطريق، فلقد مهد سبحانه للناس بعدما

[1] ) تفسير مفاتيح الغيب / للإمام فخر الدين الرازي ٩ / ٣٧٠ ط دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان

[2] ) رسالة التوحيد الأمام محمد عبده /١٢٨ ط دار الشعب بالقاهرة

وهبهم العقل وأنزل هداه أن وضع لهم دلائل وجوده وشواهد عظمته وقدرته، في كل نواحي الوجود ومناحي الحياة، ثم طلب منهم أن يبصروا تلك الدلائل الكونية بالمنظار الحسي ثم التفكر فيها بالموازنة والتدبر والنظر".

أجل لقد دعا الإسلام الناس إلى التأمل في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله في هذه الدنيا من عجائب، وأودع بين جنباتها من غرائب وأسرار، ودعاهم إلى هذا التأمل لكي يصل بالعقلاء منهم إلى نتيجة لاشك فيها ولا مراء وهي" أن الأثر يدل على المؤثر والصنعة تستلزم وجود الصانع، فلابد لهذا الوجود من إله واجب الوجود" وقد سلك القرآن العظيم في سبيل تحقيق الرقي العقلي و تحرير الفكر الإنساني منهجا يتناسب مع مستوي كل العقول بهدف الوصول إلي الكمال البشري.

فهذا قوله تعالى يخاطب العوام أولئك الذين لا يملكون من الوسائل المكتسبة ما يرتفع بهم عن مستوى الأرض وما يدب عليها، فقد نصب الله لهؤلاء الأدلة من نوع ما يفهمون، وعلى قدر ما يعقلون، فقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ {٦} وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ {٧} تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ {٨}﴾ق: ٦ -٨ وفى موضع أخر يقول سبحانه وتعالى ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ {١٧} وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ {١٨} وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ {١٩} وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ {٢٠} فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ {٢١}﴾الغاشية/١٧-٢١

وفى موضع أخر يخاطب الباري سبحانه، من الناس من هم في درجة أعلى من الدرجة السابقة، وهنا يرتفع الله تعالى بالإنسان درجة عن النظر الحسي فقط، إلى الاستدلال المنطقي عن طريق الأسباب والمسببات والبحث عن أسبابها، والمعلولات والتفكير في عللها فيقول تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ {٢} وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ {٣} وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ



مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ {٤}﴾ الرعد/ ٢: ٤

وفى موضع ثالث يخاطب الباري سبحانه وتعالى أصحاب العقول القوية، والأفهام الذكية، والنظر السليم، والفهم القويم بأسلوب أعلى من السابقة، وأدق منه، ويحتاج إلى سموّ في الفهم، وعمق في الاستدلال يقول تعالى (وفى أنفسكم أفلا تبصرون ) الذاريات ٢١" ويقول جل شانه ﴿خُلِقَ من مَّاء دَافِقٍ {٦} يَخْرُجُ من بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ {٧} إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ {٨}﴾[1] " الطارق ٦- ٨ "

بل لقد ذكر الله لنا في قصة إبراهيم عليه السلام نماذج حية ترينا كيف يكون التفكير السليم في أروع صوره، وكيف يتدرج المؤمن فى إقناع الكافر بالوسائل المحسوسة والأدلة الملموسة حتى ينتصر علي مافى نفسه، وهذه النماذج التي ذكرها الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام هى فى واقعها مبادئ إسلامية، بعد أن سجلها الله في كتابه، وضربها مثلا لمحمد صلوات الله وسلامه عليه ولجميع المسلمين، ليتبعوا سبيله ويسيروا في حياتهم على نهجها القويم، فهذا هو الملك النمرود وكان جبارا طاغيا أبطره الملك والسلطان حتى ادعى أنه اله، هاهو ذا يجادله إبراهيم عليه السلام بالحجة والبرهان، ويتدرج معه في مدا رج المنطق السليم حتى يلحق به الخزي والهوان، وفي ذلك يقول الله سبحانه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ( ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم: ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فآت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين)" البقرة/٢٥٨" وها هي ذي قصة إبراهيم مع عبدة الكواكب حينما يتدرج بهم ليقنعهم بأن عبادتها باطلة حيث يقول سبحانه ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ {٧٥} فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ {٧٦} فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ {٧٧} فَلَمَّا

---

[1] انظر الدين وحاجة الإنسانية اليه / د. محمود مزروعة/ ٣٠٤

رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـذَا رَبِّـي هَـذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّـا تُشْـرِكُونَ {٧٨} إِنِّـي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْـرِكِينَ {٧٩} ﴾ الأنعام/٧٥-٧٩

وبمثل هذا الأسلوب المنطقي الرائع يتدرج إبراهيم مع عبدة الأصنام فيلزمهم الحجة ويضع أيديهم على الحق الـذي لا ريب فيه، وينطلق بأفكـارهم في مجـال الحكمة والموعظة الحسنة لينتشلهم مـن وهدة الجمود والتقليد ﴿إِذْ قَالَ لأَبِيـهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَـا عَاكِفُونَ {٥٢} قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءنَا لَهَا عَابِدِينَ {٥٣} قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنـتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ {٥٤} قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِـنَ اللَّـاعِبِينَ {٥٥} قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ {٥٦} وَتَاللَّهِ لَأَكِيـدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ {٥٧} فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً إِلَّا كَبِيراً لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ {٥٨} قَالُوا مَن فَعَـلَ هَـذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ {٥٩} قَـالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْـرَاهِيمُ {٦٠} قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ {٦١} قَـالُوا أَأَنـتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْـرَاهِيمُ {٦٢} قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ {٦٣} فَرَجَعُـوا إِلَـى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنـتُمُ الظَّـالِمُونَ {٦٤} ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَـدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنطِقُونَ {٦٥} قَـالَ أَفَتَعْبُدُونَ من دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَـنفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ {٦٦} أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ من دُونِ اللَّهِ أَفَلَـا تَعْقِلُـونَ {٦٧}﴾الأنبياء/٥٢-٦٧

والآيات الكريمـة- بـلا ريـب- واضحة الدلالة في الطريقة التي لجأ إليها إبراهيم لكي يفضح زيف عبادة الأصنام وفسادها حيث بين لهم أنها لا تملك دفع الضر إذا ألم بها، ولا تستطيع الدفاع أمام من يعتدي عليها فهي قعيدة عاجزة صماء بكماء عمياء، وهي لا تملك نصر نفسها حتى يستنصر بهـا هـؤلاء الجـاهلون السفهاء".[1]"

وعن آفاق منهج الإسلام في تحريـر الفكر الإنساني من ربقة الجمود والتقليد يعلق الدكتور / محمد الطيـب النجـار" رحمه الله تعالى في بحثه بهـذا الموضـوع بقوله: "على هذا المنهج الواضح الرشيد

[1] ) انظر الإسلام يحرر الفكر الإنسـاني / د/ محمـد الطيب النجار ٢١ / ٢٢



يوجه القرآن الكريم الفكـر الإنسـاني ليعصمه من أمواج الفتن وعواصف الزيغ والضلال، وليبعده عن هاويـة التقليـد والجمود، ويسمو به إلى المستوى الكريم الذي يرى به الحق من الباطل، ويصل به إلى شاطئ النجاة في أمن وسلام. وفي هذا الطريق القويم سار نبي الإسلام محمد ـــ صلى الله عليـه وسـلم - وأصـحابه الراشدون المهديون فكان رسـول الله - صلى الله عليه وسلم - يحتـرم الـرأي الرشيد وينفذه، وكـان - صـلوات الله وسلامه عليه - يرخص لمن بعد عنه مـن أصحابه أن يجتهد برأيه في المسائل التي لا يجد فيها نصا من الكتاب أو السنة معلنا أن من اجتهد فأصاب فله أجران ومـن اجتهد فأخطأ فله أجر.. وقد ثبت أنه - صلى الله عليه وسلم لما أرسل معاذ بـن جبل قاضيا إلى اليمن قال له: ( يا معاذ بم تقضي ؟ قال: بكتاب الله قال: فإن لم تجد في كتاب الله ؟ قال: فبسنة رسـول الله قال: فان لم تجد؟ قال اجتهـد رأيـي " فضرب النبي - صلى الله عليه وسلم - صدره وقال:( الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله إلى ما يرضي رسول الله "

ومن المثل الرائعة على سمو الفكـر، وانطلاقه من سجن الجمود عملا بمبـادئ الإسلام وأتباعا لتوجيهاته السـديدة في احترام الرأي الصائب مهمـا كـان صاحبه، موقف عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - من المرآة التي أرشدته إلى خطأ وقع فيه وكيف أنه لم يستبد به الغرور، أو يبطره الجاه بل إنه استضاء بنور العقـل والبصيرة وشكر للمرآة صنيعها وحسن توجيهها، فيروى أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وقف يخطب في النـهي عن التغالى في المهور ويضع لها حدا أعلى ويقول: لا تزيدوا مهور النسـاء علـى أربعين أوقية، فمن زاد ألقيت الزيـادة في بيت المال؟! فقامت امـرأة مـن صـف النساء وقالت وهي تصيح: ماذا لك يـا عمر ؟ قال عمر ولم ؟! قالـت: لأن الله يقول ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَـاراً فَـلاَ تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً {٢٠}﴾ النساء: ٢٠" فأشـرق وجه الخليفة عمر - رضـي الله عنـه - بالسرور وقال في تواضع المؤمن: أصابت امرأة وأخطأ عمر .. فيا له من سمـو في الفكر أبعد صاحبه عن الجمود أمام رأيه حينما وضح خطؤه فارتد عنه، واتجه إلى شرعة الحق والصواب . ومن هذا المنطق السليم- أعنى تحرير الإسـلام للفكـر الإنساني من التقليد والجمود- نقول: إن اختلاف المذاهب الفقهية لدى المسـلمين ما بين حنفية ومالكية وشافعية وحنابلة إلى

غير ذلك إنما يرمز في المواقع إلى هذه الحرية الفكرية .إذ إن المسلمين لم يجمدوا أمام النصوص القرآنية أو نصوص الأحاديث النبوية، فيقفوا عند ظواهرها القريبة دون أن يستوعبوا أعماقها ويستكهنوا دقائقها وأسرارها . بل أمعن كل منهم النظر حتى أخذ من هذه الكنوز الثمينة حسب طاقته، وكشف من أبعادها المترامية بقدر بصره وبصيرته. ونتيجة لاختلاف القوى في مجال العقل والتفكير وفي مجال البصر والبصيرة كان الخلاف بين علماء الدين ورجال الفقه والفكر الإسلامي، وهو خلاف لا يمكن أن يتعارض أو يتدابر . لأنه ينبع من أصل واحد وهو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ويتجه إلى غاية واحدة هي إسعاد الفرد والجماعة، وتوجيه الطاقة البشرية إلى ما ينفع ويفيد، وإبعاد المجتمعات الإنسانية عن شرعة الغاب ومنطق الظفر والناب.

ومن أجل ذلك فإن المسلمين لا تضيق صدورهم بهذا الخلاف الذي انبعث من حرية الفكر لأنه خلاف لا يتعدى مجال الحق الثابت المرسوم، ولأنه خلاف لا يترتب عليه شر وفساد، بل يتحقق به العدل والإنصاف . إذ تتعدد به مسالك النجاة وتكثر على أساسه الأبواب إلى رحمة الله ورضاه"[1]

**حصيلة وثمرة تحرير الإسلام العقل الإنساني:**

مما سبق يتبين لنا أن الله سبحانه و تعالى قد زود الإنسان بقدرات ذهنية هائلة قادرة على التجديد والإبداع، والتطوير، والإصلاح الشامل لأبعاد الحياة بكل مجالاتها، وفي داخل الإنسان شوق عميق نحو التطلع للتجديد والإبداع والإصلاح، ولن تقف البحوث والنظريات في السموات والأرض عند عصر من العصور بل ستستمر مادامت السموات والأرض، ومنبع هذا هو العقل الواعي النعمة الإلهية الكبرى التي أنعم الله بها على الإنسان، ومن هنا نشأ الإنسان منذ البدء كائناً مفكراً .

وإذا كان الإنسان كائناً مفكراً"فإنه لا يمكن أن يشهد عالم الطبيعة دون أن يستخدم عقله في محاولة تفهم ظواهرها، ليس هذا فحسب بل إنه إذا لم يعمل عقله بطريقة شعورية واضحة فإنه لابد من أن يعمله بطريقة مبهمة، وليس في وسع الإنسان أن يستغني تماما عن كل تفكير فلسفي، وذلك لأن من طبيعة العقل

[1] ) انظر المصدر السابق



البشرى أن يحاول التعرف على مركزه في الكون"[1]

بل إن أعظم التحوُّلات التاريخية التي كان لها أعمق الأثر على تجديد حياة الإنسان وإصلاحها هو نزول الرسالات السماوية، فوحي الله إلى الإنسان، هداية، و تزكية، وتذكير، وتعليم وإصلاح وحياة، فلولا هذه الهداية الإلهية للإنسان لطغى الإنسان وتمرد وسيطرت عليه غرائزه، الجامحة كالغضب والانتقام، وحب السيطرة، فكان الدين ميزانا للعقول وموجها للنفوس ومهذبا للطبائع البشرية، قال الله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ {٢}﴾الجمعة /٢ وقال تعالى:( يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) الأنفال /٢٤ وكلمة "يحييكم " تختزل كل دلائل فلسفة الدين والرسالة، وتبيان ذلك أن"رسول الله –صلى الله عليه وسلم–إنما يدعوهم إلى ما يحييهم أي إلى الحياة بكل صور الحياة، وبكل معاني الحياة .إنه يدعوهم إلى عقيدة تحيي القلوب والعقول، وتطلقها من أوهام الجهل والخرافة، ومن ضغط الوهم والأسطورة، ومن الخضوع المذل للأسباب الظاهرة والحتميات القاهرة، ومن العبودية لغير الله والمذلة للعبد أو للشهوات سواء... ويدعوهم إلى شريعة من الله، تعلن تحرير الإنسان وتكريمه، بصدورها من الله وحده، ووقوف البشر كلهم صفا متساوين في مواجهتها، لا يتحكم فرد في شعب، ولا طبقة في أمة، ولا جنس في جنس، ولا قوم في قوم ... لكنهم ينطلقون كلهم أحرارا متساوين في ظل شريعة صاحبها الله رب العباد.

ويدعوهم إلى منهج للحياة، ومنهج للفكر، ومنهج للتصوير، يطلقهم من كل قيد إلا ضوابط الفطرة، المتمثلة في الضوابط التي وضعها خالق الإنسان، العليم بما خلق، هذه الضوابط التي تصون الطاقة البانية من التبدد، ولا تكبت هذه الطاقة ولا تحطمها ولا تكفها عن النشاط الإيجابي البناء .يدعوهم إلى القوة والعزة والاستعلاء بعقيدتهم ومنهجهم، والثقة بدينهم وبربهم، والانطلاق في الأرض كلها لتحرير الإنسان بجملته، وإخراجه من عبودية العباد إلى عبودية الله وحده،

[1] ) مشكلة الفلسفة د/زكريا إبراهيم:٢٧ مكتبة مصر ط ١٩٧١ م

١١)المجلة (لندن ) العدد ٦٠٨ ،٢ أكتوبر ١٩٩١م ٢٤ ربيع الأول ١٤١٢ ٥

وتحقيق إنسانيته العليا التي وهبها له الله، فاستلبها منه الطغاة ! ويدعوهم إلى الجهاد في سبيل الله، لتقدير ألوهية الله سبحانه في الأرض وفي حياة الناس ... ذلك مجمل ما يدعوهم إليه الرسول صلى الله عليه وسلم وهو دعوة إلى الحياة بكل معاني الحياة .

إن هذا الدين منهج حياة كاملة، لا مجرد عقيدة مستيسرة. منهج واقعي تنمو الحياة في ظله وتترقى، ومن ثم هو دعوة إلى الحياة في كل صورها وأشكالها، وفى كل مجالها ودلالتها . والتعبير القرآني يجمل هذا كله في كلمات قليلة موحية: (يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم )[1]

والذي يتأمل تاريخ الرسالات السماوية يدرك بعمق دلائل هذه الآية"إذا دعاكم لما يحييكم "وعلى الأخص رسالة الإسلام باعتبارها خاتمة الرسالات السماوية، فقد أحدثت أعظم حركة تجديد شاملة في حياة الإنسان والتاريخ، ولم يسجل التاريخ القديم والحديث تحولا ومنعطفا تاريخيا كان له أكبر تأثير في الماضي والحاضر والمستقبل، كحدث ظهور الإسلام، الذي كان ثورة حضارية شاملة غيرت مجرى التاريخ والإنسانية" فقد أضاءت للعالم بأجمعه دروب العلم والنور والمعرفة قرونا طويلة.

فمن المعلوم أن الحضارة الإسلامية التي أشعت النور علي العالم بعد أن كان يربض تحت تأثير الجهل والفوضى قد حققت سبقاً رائعاً لم يسبق له مثيل في حياة الإنسانية، منذ أن بدأ تنبثق ينابيع الحكمة الإلهية يحمل أريجها سفير وحي السماء إلي عالم الأرض"جبريل عليه السلام"معطرة أرجاء الكون، علي خاتم الأنبياء والمرسلين . "وإذا أردنا أن نعرف حالة العالم عامة و العرب خاصة قبل ظهور الإسلام يظهر لنا بوضوح أن الإنسانية كانت في رمسيس الحاجة إلى التخلص مما هي فيه من أوضار الشرك وأصفاد العبودية وجبروت الحكام وترهات الأحبار والرهبان.

فالعالم كله كان في حالة انحلال تام، الناس يعيشون في غمرة الجهل، إرادتهم مسلوبة وحياتهم مفقودة، وعقولهم عن التفكير محجوبة، والمظالم عامة، والرذائل شامله، والفوضى دستور الحياة "وآفة الشرك قد أفسدت القلوب حتى أكلت بذور الإيمان .

[1] ) مقارنة الأديان د/أحمد شلبى ٣ / ٤٨ ط مكتبة النهضة المصرية القاهرة



وكانت أمة العرب يلفها الظلام، ويعمها سوء الحال، أهلها قبائل متنافرة لا تجمعهم جامعة ولا تربطهم رابطة، الحروب بينهم مشبوبة لأتفه الأسباب، والصلات بينهم مقطوعة، يعبدون الأوثان تقليد للآباء " بل قالو إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون)لزخرف/٢٢

فحالة البشرية وقت ظهور الإسلام كما يصفها الأستاذdamson في كتابه emotions as as as the basis of aililt بقوله: (في القرنين الخامس والسادس كان العالم المتمدن على شفى جرف هار من الفوضى، لأن العقائد التي كانت تعين على إقامة الحضارة قد انهارت، ولم يك ثم ما يعتد به مما يقوم مقامها، وكان يبدو إذ ذاك أن المدينة الكبرى التي تكلف بناؤها جهود أربعة آلاف سنة مشرفة على التفكك والانحلال، وأن البشرية توشك أن ترجع ثانية إلى ما كانت عليه من الهمجية، إذ القبائل تتحارب وتتشاجر، لا قانون ولا قيم، أما النظم التي خلفتها المسيحية فكانت تعمل على الفرقة والانهيار بدلا من الاتحاد والنظام، وكانت المدنية كشجرة ضخمة متفرعة امتد ظلها إلى العالم كله، واقفة تترنح وقد تسرب إليها العطب حتى اللباب . وبين هذه المظاهر ولد الرجل الذي كان خير دواء لهذا الداء ) .

ومن يؤرخ لتأريخ الحضارات البشرية يكتشف، أن الحضارة بعد ظهور الإسلام فى القرن السابع الميلادي دخلت مرحلة في التطور والارتقاء، ووصفها البعض أن البشرة وصلت مرحلة النضج والرشد، تسامت فيها القيم بتكامل وتوازن، بعد أن كانت في تناقض واضطراب. وهذا التوازن والتكامل في قيم الإسلام بين الدنيا والآخرة، والعقل والروح، والشهادة والغيب، والمادة والروح، والدين والسياسة، والفرد والمجتمع، وكان شاهدا على خلود الإسلام وثباته وشموليته وربانية وواقعيته .

ولم تستطع كل الفلسفات الوضعية التي ابتكرها الإنسان على طول تأريخه باتجاهاتها المختلفة، أن تقدم حلا لهذه القيم بتوازن وتكامل وواقعية كالمنهج الإسلامي ولهذا السبب نجد كل الفلسفات كانت أحادية البعد والمنهج، إما مثالية، أو عقلية، أو مادية . " [1] "

ونخلص من هذا كله:إلي أن الإسلام أحدث نهضة تجدد جذرية شاملة في كل مجالات الحياة، لأنه جاء بهيئة شاملة

[1] ) المصدر السابق /١٨

متكاملة من تعاليم العقيدة الفكرية السليمة، ومنهجا للحياة الواقعية بكافة جوانبها، بل قدم للبشرية تصورا كاملا وشاملا لكل حقول النشاط الفكري والواقعي الإنساني وفيه من القواعد والمناهج والخصائص ما يكفل نمو هذا النشاط وحيويته دائما.

ويكفي أن نعلم أن الفكر الإسلامي له قدرة خلاقة علي البحث والتطوير والتجديد والإبداع، وهو طريق المستقبل وسبيل الخلاص للحضارة الإنسانية .

لقد كان القرآن فتحا جديدا في تاريخ الفكر الإنساني، ونقلة هائلة للعقل والتفكير، وثورة عنيفة على الغفلة والجمود والتقليد وعلى ضوء هذا النهج، ونتيجة لهذه التربية، سارت الحضارة الإسلامية على أساس فكري سليم، وكانت علومها ومعارفها على صلة وثيقة بالكون والحياة، ومرتبطة بالإيمان والخلق، فجاء نتاجها عمليا دفع بالحياة إلى التقدم، وبالبشرية نحو المعرفة والكشف والتعمير. والعلم الحديث بما وصل إليه من معرفة وكشوف وتقدم، إنما بنى على أساس الفكر الإسلامي، وبدأ من حيث انتهى المسلمون.

لقد كان للإسلام الفضل الأول في مبعث هذه الحضارة، ويكفي أن نعلم "أن الاتجاه التجريبي الذي قامت عليه الحضارة الصناعية الأوروبية الحاضرة لم ينشأ ابتداء في أوروبا . وإنما نشأ في الجامعة الإسلامية في الأندلس والمشرق مستمدا أصوله من التصور الإسلامي وتوجيهاته إلى الكون وطبيعته الواقعية ومدخراته وأقواله" [1] وهذا ما اعترف به بعض المنصفين من المفكرين الغربيين بقوله: "إن أهم ما تعلمته أوربا من المسلمين في بدء نهضتها هو المنهج التجريبي في البحث العلمي الذي بنت عليه أوربا كل تقدمها العلمي فيما بعد.

فالمنهج التجريبي في البحث العلمي هو بلا ريب نتاج الإسلام والتوجيه الإسلامي للعقل البشري." فقد كان المنهج قبل المسلمين-هو منهج اليونان العقلي الفلسفي،يقول محمد إقبال[١٨٧٣- ١٩٣٨]: " وقد أتى على الفكر الأوربي زمن تلقى فيه وحي النهضة عن العالم الإسلامي... ولقد كانت أوربا بطيئة نوعاً ما في إدراك الأصل الإسلامي لمنهجها العلمي"

---

[1] انظر الفكر الإسلامي والفلسفات المعارضة له في القديم والحديث / د / عبد القادر محمود



وأخيرا جاء الاعتراف بهذه الحقيقة على لسان " بريفولت" في كتابه "بناء الإنسانية"في قوله: إن "روجربيكون" درس اللغة العربية والعلم العربي في مدرسة "أكسفورد" على خلفاء معلميه العرب في الأندلس. وليس لروجر بيكون ولا لسميه الذي جاء بعده الحق في أن ينسب إليهما الفضل في ابتكار المنهج التجريبي. فلم يكن روجربيكون إلا رسولاً من رسل العلم والمنهج الإسلاميين إلى أوربا المسيحية. وهو لم يمل قط من التصريح بأن تعلم معاصريه للغة العربية وعلوم العرب هو الطريق الوحيد للمعرفة الحقة. والمناقشات الواردة حول واضعي المنهج التجريبي، هي طرف من التحريف الهائل لأصول الحضارة الأوربية. وقد كان منهج العرب التجريبي في عصر بيكون قد انتشرا انتشاراً واسعاً، وانكب الناس، في لهف على تحصيله في ربوع أوروبا. لقد كان العلم أهم ما جاءت به الحضارة العربية الإسلامية على العالم الحديث، ولكن ثماره كانت بطيئة النضج. إن العبقرية التي ولدتها ثقافة العرب في أسبانيا لم تنهض في عنفوانها إلا بعض مضي وقت طويل على اختفاء تلك الحضارة وراء سحب الظلام. ولم يكن العلم وحده هو الذي أعاد إلى أوروبا الحياة، بل إن مؤثرات أخرى كبيرة من مؤثرات الحضارة الإسلامية بعثت بالحورة أشعتها إلى الحياة الأوروبية.

إن ما يدين به علمنا لعلم العرب ليس فيما قدموه لنا من كشوف مدهشة لنظريات مبتكرة، بل يدين هذا العلم إلى الثقافة العربية بأكثر من هذا، إنه يدين لها بوجود نفسه. فالعالم القديم، كما رأينا لم يكن للعلم فيه وجود. وعلم النجوم عند اليونان ورياضاتهم كانت علوماً أجنبية استجلبوها من خارج بلادهم و أخذوها عن سواهم ولم تتأقلم في يوم من الأيام فتمزج امتزاجاً كلياً بالثقافة اليونانية. وقد نظم اليونان المذاهب وعمموا الأحكام ووضعوا النظريات، ولكن أساليب البحث في دأب وأناة وجمع المعلومات الإيجابية وتركيزها، والمناهج التفصيلية للعلم، والملاحظة الدقيقة المستمرة، والبحث التجريبي كل ذلك كان غريباً تماماً عن المزاج اليوناني، ولم يقارب البحث العلمي نشأته في العالم القديم إلا في الإسكندرية في عهدها الهليني. أما ما يدعوه العلم، فقد ظهر في أوروبا نتيجة لروح من البحث جديدة، ولطرق من الاستقصاء مستحدثة لطرق التجربة، والملاحظة والمقاييس، ولتطور الرياضيات إلي صورة لم يعرفها اليونان.

وهذه الروح وتلك المناهج العلمية أدخلها العرب إلى العالم الأوروبي."[1]

" إن "روجر بيكون" درس اللغة العربية والعلم العربي في مدرسة " أكسفورد " على خلفاء معلميه العرب في الأندلس وليس " روجر بيكون " ولا لسميه " فرنسيس بيكون " الذي جاء بعده، الحق في أن ينتسب إليهما الفضل في ابتكار المنهج التجريبي، فلم يكن " روجر بيكون" إلا رسولا من رسل العلم والمنهج الإسلاميين إلى أوربا المسيحية، وهو لم يمل قط من التصريح بأن تعلم معاصريه للغة العربية وعلوم العرب هو الطريق الوحيد للمعرفة الحقة. والمناقشات التي دارت حول واضعي المنهج التجريبي، هو طرف من التحريف الهائل لأصول الحضارة الأوربية: وقد كان منهج العرب التجريبي في عصر " بيكون" قد انتشر انتشارا واسعا، وانكب الناس في لهف على تحصيله في ربوع أوربا.

من أين استقى " روجر بيكون " ما حصله من العلوم ؟ من الجامعات الإسلامية في الأندلس . والقسم الخامس من كتابه cepus majus الذي خصصه للبحث عن البصريات ، هو في حقيقة الأمر نسخة من كتاب " المناظر " لابن الهيثم " أما ما ندعوه العلم ، فقد ظهر في أوربا نتيجة لروح من البحث جديدة ، ولطرق من الاستقصاء مستحدثة لطرق التجربة والملاحظة والمقاييس ، ولتطور الرياضيات إلى صورة لم يعرفها اليونان ، وهذه الروح وتلك المناهج العلمية أدخلها العرب إلى العالم الأوروبي" [2]

وصلى الله علي سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

---

[1] ) انظر تجديد التفكير الديني في الإسلامي ،محمد إقبال ترجمة ، عباس محمود / ١٤٩

[2] ) منهج القرآن في التربية أ/ محمد شديد. ١٢٨ و ١٢٩ دار التوزيع والنشر الإسلامي



فهرس المراجع


( ١) انظر لسان العرب ابن منظور مادة عقل

(٢) التعريفات للجرجاني مادة ط دار الكتاب العربي بيروت لبنان ١٤٢٣ه ٢٠٠٢ م

(٤)ماهية العقل ومعناه للمحاسبي /تقديم حسين القوتلى ط دار الفكر بيروت

(٥) التفكير فريضة إسلامية /أ عباس العقاد/ ط دار نهضة مصر

(٦) العقل والوجود د /يوسف كرم ط دار المعارف ١٩٦٤

(٨) بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد للحكيم الترمذي تحقيق نقولا مطبعة الحلبي ١٩٥٨ م القاهرة

(٩) أصول التربية الإسلامية / عبد الرحمن النحلاوى /ط دار الفكر المعاصر بيروت

(١٠) فصل المقال فيما بين الشريعة والحقيقة من اتصال / ابن رشد تحقيق د/ محمد عمارة ط/ دار المعارف ١٩٨٣

(١١) مفهوم العقل والقلب في القرآن والسنة /د/ محمد علي الجوزو /ط دار العلم للملايين ط أولي ١٩٨٠

(١٢) القرآن يقوم العقل والنفس واللسان أ/خلف محمد الحسيني / ط نهضة مصر ١٩٩٠م

(١٣) كتاب/ العقل وفضله / للحافظ أبي بكر أبن أبي الدنيا/ تحقيق وتعليق/ مجدي السيد إبراهيم /ط مكتبة القرآن

(١٤) وروضة العقلاء ونزهة الفضلاء /للإمام الحافظ ابي حاتم محمد بن حبان ألبستي/بتحقيق وتصحيح: الشيخ/ محمد محي الدين عبد الحميد وآخرون /ط دار المغني.

(١٥) المنهج الإسلامي الجديد.أبو الأعلى المودودي/ ط جمعية التمدن الإسلامي/ دمشق ١٣٧٥

(١٦) أنظر منهج التفكير الإسلامي / د/ علي جريشة / ط مكتبة وهبة سنة ١٩٨٦م

(١٨) منهاج القران في التربية د/ محمد أمين أبو بكر ضمن حولية كلية أصول الدين سنة ١٤٠١ه-

(١٩) دور الإسلام في تطور الفكر الفلسفي د/ حمدي زق زوق، ط مكتبة وهبة

(٢٠) دراسات إسلامية د/محمد عبد الله دراز ط درا لقلم الكويت

(٢١)الإسلام وقوانين الوجود/د٠محمد جمال الفندى ط الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٨٢م

(٢٢) لمحات فى الثقافة الإسلامية / عمر عودة الخطيب /ط مؤ سسة الرسالة

٢٣) انظر محاضرات في المنطق القديم / تأليف الباحث

٢٤)انظر حقوق الإنسان في الإسلام د. عبد الواحد الفار

٢٥الأخلاق فى الإسلام بين النظرية والتطبيق د. محفوظ على عزام ٣٦. ط دار الشعب

٢٦) رسالة التوحيد الأمام محمد عبده /١٢٨ ط دار الشعب بالقاهرة

٢٧) تفسير مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي / ط دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان

٢٨) مشكلة الفلسفة د/زكريا إبراهيم: مكتبة مصر ط ١٩٧١ م

٢٩) مقارنة الأديان د/أحمد شلبى ٣ / ٤٨ ط مكتبة النهضة المصرية القاهرة